



0149757



Bibliotheca Alexandrina

حواء الخالدة

محمود تيجور

محمود تيمور

هواء الخالدة

مستزاد الطبع والنشر
مكتبة الآداب وطبعتها بالهناستاسيت ٩١٢٣٧٧
الطبعة التمهيدية
أسكن الشاوي بالعلمية الجديدة

أشخاص القصة

عنتره	{ بطل قبيلة « بنى عبس » ، وحامى ذمارها . فى الثانية والعشرين من عمره .
عبلة	: ابنة « مالك » ، تناهز التاسعة عشرة .
مالك	{ من أشياع « بنى عبس » ، يتيّف على الستين من عمره .
الأمير عمارة	{ رأس قبيلة « بنى زياد » ، من « كندة » ، وافر الثراء ، عظيم الجاه ، أكمل الثلاثين من عمره .
عظم	{ راوية « عنتره » ، ومذيع شجره . يبلغ الأربعين . مريح النفس ، فكه الروح .
هند	{ صفيّة « عبلة » . فى الرابعة عشرة من عمرها .
دعجاء	{ صاحبة « عبلة » . فى الثامنة عشرة من عمرها .

- ٤ -

حازم } كبير الحاشية في بيت «مالك» . شيخ تقدمت .
به السن .

أم هَرم : زوج «حازم» . مدبرة خباء «عبله» .

نجماء : من صبايا الحى .

ابن فياض : من قبيلة «بنى عبس» . تاجر رحالة .

شراقة }
بُجَير } من رجال «بنى عبس» .
ابن الزاهد }

أردبيل : الأذن في بيت «عنترة» .

سيف : فتى يحسن الغناء .

الفصل الأول

« يبدأ... الوقت : أمسيل...
خباء « عبلة » زاه بلونه العنابي ، تحف
به نجيلات... تترأى أمام الجباء رجة
في أطرافها أكانت ثلاث... تترأى
على مد العين أخبية متناثرة... « عبلة »
جالسة بباب خباتها تشاهد سكينا ومجانها
« دعباء » بن يدها مفزل... « هند »
على رأس أكمة تتطلع... »

عبلة : « لهند ، أما تدينن لقادم ظلا ؟ ...

هند : « لم يقع بصرى على أحد... »

عبلة : « عجبا... ماذا أبطأ به ؟... »

هند : « وهى تحدد بصرها ، كأنى الملح يبرأ يعدو... »

عبلة : « هيه... »

هند : « ... يعتلى ظهره شيخ... »

دعباء : « لهند ، أنت كليلة البصر... عسيير عليك

أن تميز العزة من البير ... أنبلى ... خلّى
مكانك لى ...

هند : « لدعجاء ، أخصك الله بأكثر من عيين ؟ ...
« تسأنف تطلعها ، إنه لا محالة بير » على ظهره
شيخ ...

دعجاء : « ما شأننا ببير الشيخ ؟ ... » تلتفت إلى عبلة ، أما كنى
شحنأ ؟ ... لقد أصبحت السكين أحد من السيف ...
أرينى ...

« تمد يدها فتجذب السكين جذبة خاطفة
فتصيب كفها بجرح يسير »

ويلاه ... كادت تفرى يدي ...

هند : « هابطة إلى الجباء ، هذا جزاؤك ...

دعجاء : « ما أسرع لسانك إلى قول سوء ...

عبلة : « أما تفرغ لىك مشاحنة ؟ ... كأنك ضرتان ؟ ...

دعجاء : « لم يبق إلا أن تكون ضرتى هذه الطفلة
الرضيع ؟ ! ...

هند : « لدعجاء ، أكنت ترضين لك ضرة كد عبلة ، ؟ .

« تشع دعجاء بوجهها عن هند ،
استصاراً لها وزراية ، وتقيراً لجرى
الحديث »

دعجاء : « وهي تتأمل السكين في يدها ، مسنونة كد شفرة »
السيف . . .

عبلة : بل أحد ، إني لا أفنتأ أشحذها كل يوم ...

هند : وفيه هذا العناء ؟ ...

دعجاء : « ضاحكة ، ألا تدركين يا طفلة ؟ ... إنها تشحذها
لتذبحك بها ...

عبلة : « نحدق في هند باسمه ، أراضية أنت بأن أذبحك ؟ ...

هند : « متطلعة إلى عبلة بنظرات حب وسذاجة ، ما أطيب
أن نذبحنى هاتان اليدان البضتان ! ...

« عبلة تغلبها في رقة وخنو »

دعجاء : « لهند ، أما أنا فساجعل منك شواء شهياً ...

عبلة : « ضاحكة تنظر إلى هند نظرة حذب ومحبة وتلاطف

— ٨ —

ذقها ، وعنترة يلتهم هذا الشواء ... أليس كذلك
يا صغيرتي ؟ .

هند : لا أحبُّ أن يأكلني عنترة ، وله تلك اللحية الكثَّة
المهوشة ١ .

• تطلق عبلة ضحكة وهي تبت
بسكينها

عبلة : حق ما تقولين يا هند ... لا يجعل بمنزلة أن
يطعمك إلا إذا أزاح عن وجهه لحيته
الكثثة المهوشة . . . سأتى عليها في طرفة
عين ...

هند : كيف ؟ ...

عبلة : هذه السكين حاضرة ١ ..

دعجاء : « لعبلة » تحسنين صنماً ... إن لحيته تحيله شبحاً
مفزعا ...

هند : ولكنه بطل غضنفر ... إنه فاتن النساء ...

دعجاء : دلهند ، أَيْثَة نساء تَحْنِين ياطفلة ؟ ... كَأَن الحَيَّ

لَمْ يُرْزَق فَتَسَى غَيْرَ عَنْتَرَة ١٩

عبلَة : « وَقَدْ وَقَفْتَ قِبَالَ هِنْد تَرْنُو إِلَيْهَا وَتَبْتَسِمُ ، اللَّهُ دَرُكُكَ
مِنْ حَسَنَاء ... عَيْنَانِ سَاحِرَتَانِ عَجِبْتُ لَهَا كَيْفَ
لَا تُحَسِّنَانِ الْإِبْصَارَ ؟ ...

هند : إِنْ بَصُرَى أَنْفُذُ مِنْ بَصَرِ الذَّسْرِ ...

عبلَة : دَوْمِي تَرْمُقُ عَيْنِي هِنْد ، لِعَيْنِكَ لَوْنُ الْعَسَلِ الْمَصْنُوعِ
دعجاء : دَفِي دَعَابَة وَسُخْرِيَّة ، إِنْ عَنْتَرَة يَحْلُو لَهُ لَوْنُ الْعَسَلِ
فِي الْعْيُونِ .

عبلَة : دَلِدَعَجَاء ، يَخِيلُ لِي أَنَّ لِعَيْنِكَ أَنْتِ أَيْضاً لَوْنُ الْعَسَلِ
يَا دَعَجَاء ١ ...

دعجاء : أَحَقّاً ؟ ... لَمْ أَكُنْ بِهِنْدَ سَمِيَّة ١

هند : دَلِدَعَجَاء ، أَصَابَتْ عَبْلَةً فِيمَا قَالَتْ ... لِعَيْنِكَ
لَوْنُ الْعَسَلِ ، يَدُ أَنَّهُ الْعَسَلُ الْكَدِرُ ...

دعجاء : دلهند ، مَاذَا تَقْرَأِينَ ؟

عبلَة : دَلِدَعَجَاء ، تَقْصِدُ هِنْدُ بِالْعَسَلِ الْكَدِرِ الْعَسَلَ الْغَنَى

— ١٠ —

بشمعه الأصيل ... إن الرجال يهَوُّونَ هذا
الصَّنْف ...

هند : ولكنهم سرعان ما يزهدون فيه !

« دعاء ترى هند بنظرة استنكار

وترفع »

دعاء : « لعبلة ، ولون عينيك أنت ؟

عبلة : « وقد دنت من دعاء تواجها ، أنعمى النظر فيهما ،

وتبينى لوتنهما ...

دعاء : « تحديق عيني عبلة ، لا أستطيع أن أتبينَ لهما لونا ...

عبلة : « تتضاحك ، عيناى لا لونَ لهما !

هند : « وهى تصعد بصرها فى عيني عبلة ، لإنهما تزخران

بشئى الألوان الزاهية ؛ فيها خضرة المروج ، وُصفرة

الذهب ، وزُرقة السماء فى صحوها ...

دعاء : « مستهزئة ، يالكشاعرة ! ...

هند : « عن عنترة أخذتِ بلاغة الشعراء ...

عبلة : « ساهمة ، عنترة ؟ ...

« نهض إلى الربوة »

تلك أول مرة يخلف فيها مواعده ...

هند : «وقد تبعت عبلة إلى الربوة، أصر خطير عاقه قدمه لاحتالة»

عبلة : «وقد ارتقت الربوة ، تسرح طرفها في الأفق ، ها هي

ذى الشمس تنحدر للغيب ولما يظهر له أثر ... لقد

أقسم أن يعود إلى بجاد الأسد ...

دعجاء : «لعل الأسد قد تصيده ...»

هند : «ومن يحى الذمار ويذود عن الحى ؟ ...»

دعجاء : «لن أعدم القبيلة من بينها حماة يا طفلة ...»

هند : «ولدعجاء ، وأين كان هؤلاء الحماة يوم عدت علينا

فتناك بنى دُجَيل الملقَّين بالحر ، وعانت في أرضنا

فساداً ، وأعملت في ديارنا يد النهب والتخريب ؟ ...»

وأين كان هؤلاء الحماة يوم كرت على مراعيها قطعان

الذئاب الضواري تستيح ما لنا من إبل وأغنام ؟ ...»

ألم يبرز عنقزة لهذه وتلك بعزمه البتار فيردها

على أعقابها ، قهورة فزعة ، على حين تسلل حمائك

هربا في شعاب الجبل يحتمون بها احتفاء الجرذان
بالشقراق ١٩ . .

عبلة : حسبك يا هند ... حسبك ا ...

هند : « مندفة لدعجاء ، من من هؤلاء الحماة خرج ليردّ
عنا غائلة ذلك الضرغام السنيذ الذي ألف أن يطرقتنا
كلّ يوم ليرجع بفريسة ينزعها على أعيننا ، ونحن
صاغرون أذلاء ، لا يملك أحدا أن ينال منه
نأراً ١٩ ...

دعجاء : لم يخرج عنترة من تلقاء نفسه للإيقاع بذلك الضرغام ،
ولأنما أذعن لأمر من عبلة ...

« تضاحك »

عبلة : ما أمرتُ عنترة بشيء ، ولكنها رغبةٌ هجست بها
نفسى ابتغاء الحصول على جلد ذلك الضرغام ؛
لكى أتخذ منه بساطا في خيائي ، وقد كاشفت عنترة
برغبتي ا ...

دعجاء : فما أسرع أن هبّ ينفذ ما ترغبن فيه . . . الإشارة

منك أمر مغلاص ... ولكن اعلى أنك بعثت به إلى ...
الردى ! ...

عبله : لا يعننى إلا أن مخصر لي جلد العرغام ! ...
هند : سيجيك به ! ...

عبله : « كالمناجية نفسها » ويحي ! ... ماذا تقول نساء الحى ...
إذا آب عنثرة صفر اليدىن عما طلبت ؟ ...

« بأخذ بصرها « حازما » وهو مقل . »

أنت هنا يا حازم ... ماذا ورامك من نيا عنثرة ؟ ...

حازم : الحى أجمع فى حيرة من غيبته المريبة ... أخشى ...
أن يكرن قد ألمَّ به مكروه ... إن العرغام شديد ...
المراس ! ...

عبله : وأين راوية قصصه عظم ؟ ...

حازم : شاخص على أطراف اليداء بجوار نع الثريا ينتظر ...
قدومه ...

عبله : أهذا كل ما فى جعبتك من الأخبار ؟

حازم : أقيت فى طريق ركب الأمير معمارة

- «رأس قبيلة كيندة؟...»
- «عجاء : أمير عريض الجاه ، موفور الشراء ... مطمح أنظار
النساء في البادية ...»
- «هند : لم لا تحتالين لخطبته؟...»
- « تنظر إليها دعجاء شزرا ... »
- «عبله : « الحازم ، أئمة وجهه يبتغي الأمير يا ترى؟...»
- «حازم : يبتغي مضارب خيام بني ثعلبة ، يد أنه سيمر بنا ليرد
إفامنا ... ولقد سأله عن عنترة ، فقال : لعن
الضرغام ابتلعه ...»
- «عجاء : إن شأن عنترة والضرغام قد شاع وذاع ، وملا
السقاع ، وتسامعت به الركبان في كل مكان ...»
- «عبله : « مهمة ، : ويل له إن أخفق ...»
- «عبله : « الحازم ، في لهجة الأمر ... »
- «أخرج في نفر من أهل الحى لاستقبال الأمير عمارة ،
وأكرموا وفادته ...»
- «حازم : سمع وطاعة ...»

« ينصرف لحزم »

عبلة : إذا بام بالحلية ذهبت أصداء قصيده الرنان في أدراج
الرياح ! ...

هند : أوكد لك أنه لن ينهب طويلا ...

عبلة : « محمّدة » لقد أخلف مواعده وكفى ! ...

هند : الغائب عذره معه ...

عبلة : أى عذر يكون ؟ ... لقد واعدت نساء الحى أن

أرهن اليوم جلد الضرغام ... وإخالفن مقبلات على

خبائى بعد هنيهة ... فأين جلد الضرغام ... أين !؟ ...

هند : ألا يشفع لعنترة عندك مايقوم به ابتغاء مرضاتك ؟

إنه لا يفتأ يغدو إليك بالحليب كل يوم غير

متخلف !؟ ...

دعجاء : ليس هذا بالأمر العسير ... حمل قعّب من الحليب

لا يرهق أحداً ! ...

هند : إن الحليب يحمله الخدم والموالى إلى السادة . . . أما

الفوارس الشجعان ...

دعجاء : « ساخرة ، فيضربون في الفياقي : يصرعون أسودها ،
ويسلخون جلودها ... »

هند : « لعيلة ، عجبت لك كيف تسمعين هذا القول
ولا تتصدّين لدفعه ؟ ... أيجازى عنتره منك بأن
تناله الألسنة بالسخرية دون أن تكونى له نصيراً ؟ »

دعجاء : « لمهند ، حسبته اتصارك أنت له ! ... »

« لعيلة . »

أخشى أن تكون هذه الطفلة منافسة لك في حب
عنتره ...

عيلة : أهلاً بها منافسة حيية ...

دعجاء : ما أظنها إلا والهة مدلّية يحبه ! ...

هند : إني به معجبة ، وإني بهذا الإعجاب لمعتره ...
أما أنت ؟ ...

دعجاء : ماذا يا طفلة ؟ ...

هند : « لدعجاء ، إنه عنك في شغل ... ولا أزيد ! ... »

دعجاء : « تتضحك ، لن أنوّه فتيلاً من إعجابى إلا إذا خلا

وجهه من لحيته الشعناء ...

عبلة : كفّنا عن الكلام ... ركبُ الأمير عمارة يقترب ...

دعجاء : الأمير عمارة قادم ...

« تتلمذ »

هند : « لدعجاء ، لمَ اللثامُ يا دعجاء ؟ ... »

عبلة : لتغدو للعيون فتنة ...

هند : تحذق دعجاء انتهازَ الفرص ...

« يبدو حازم »

حازم : « جهورى الصوت ، الأمير عمارة الكندى ... »

« يقبل الأمير فى حلة موشية فاخرة ،

منقلداً سيفه المرمم الرضاء ، تنبّه الحاشية

والأحراس »

عمارة : « لعبلة ، طاب يومك يا بنته سيد الحى ... »

عبلة : « للأمير عمارة ، طِبْتَ وسلِّمْتَ . . . شرفتُ

بمقدمك الديار ، وحق لها الفخار . . . وددت لو كان

أبى حاضراً ليغتم لقاءك ...

عمارة : أين هو ؟ ...

- عبلة : خرج إلى الخيرة يزور ملكها المنذر ...
- عمارة : يسوءنى ألا أراه ... ولكن فى رؤيتك عوضٌ أى
- عوض ... سابقى ريثما يستقى الركب ...
- عبلة : حملت أهلاً ، ونزلت سهلاً ، أيها الأمير ! ...
- « تشرب ليه بالجلوس ، فيجلس ... تقول
لـ «حازم» »
- علينا بصحاف المجيع ، وجفاف الثريد ، لضيوفنا
الكرامُ ...
- حازم : السمع والطاعة ...
- « بنصرف حازم »
- عمارة : علمت من الشيخ حازم أنكم تتساملون عن عنقرة ...
- يبدو أن اهتمامكم به شديد ! ...
- عبلة : وهل فى هذا من ضير ؟ ...
- هند : إنه فنى القبيلة الهام ، وفارسها المقدام ...
- عمارة : « لهند ، إنه لكذلك حقاً . . . » لعبلة « موفى الحظ
- هذا الفنى الذى يظمر بعطف نتيات الحى ، ولاسيما
عطف درة القبيلة بلة ! ...

عجلة : أشكر للأمير ثناءه ... أكبر ظني أن عنزة عائد إلينا
موفور الفوز ...

عمارة : إن الضُرغام غلابٌ غَضوبٌ ، ما ساوره
فارسٌ إلا افترسه ... لم ينجُ حتى اليوم من برائه
أحد ...

هند : سيفتريك عنزة بهذا الضُرغام ...
عجلة : لقد أفسم أن يحضر لي جلده ، وما عهده في
قسمة حائثا ...

دعجاء : ها قد أدبر النهار ، ولمَّا يُقبلُ عنزة ! ... لقد
وعد بأن يحمل إلينا جلدَ الضُرغام ، والشمسُ متوسطة
كبدَ السماء ...

« يدخل حازم بصحاف الميج وجفان
الزريد ، فيلف حوله الجمع . . . »

عجلة : « متحدية ، إنه لعائد بجلد الضُرغام ... لا محالة !...
عمارة : عنزة شاعر خل ، مُردّد اليدُ قصائده التي تَخشى
فيها بحسبك البارع ...

هند : إن اسم عبلة يسرى في الخاقصين ، يترنم به الناس في
شور عنبرة الفياض .

عبلة : ما أسعدنى بأن أكون مملحته روائع القريض ...

دعجاء : وماذا يكون من أمر عنبرة إذا تعطلت شاعريته ؟

عمارة : يَسْقَى له طول قامته ، وسواد لونه !

هند : بل يَسْقَى له حد سيفه البشار ... ولكنته سيظل
شاعراً ، ولاسم عبلة ذا كرا ...

عمارة : « لعبلة » مهما يصنف عنبرة من حسنك فين وصفه

وبين الحقيقة أبعد وأما ... إن الحقيقة

تلوح له كالسراب ، كلما خف إليها ترامت عنه ...
إنه يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل

منى وببيض الهند تقطر من دمي

فوددت ثقيل السيوف ؛ لأنها

لمعت ككبارق ثغرك المتبسّم

فأين لمعة السيف من وضاعة هذه الثنايا المفلسجة .

هذا الجثمان المُسنَّضُ المتألق تألقَ ندى الفجر على

صفحة الزهر ...

عجبة : لآى الأمرين جئتَ أيها الأمير : لتغزل أم

لتستقى ؟ ...

عمارة : جئتُ أستقى لقلبي من نبع الفتنة والسحر ! ...

« ينظر إليها وتنتظر إليه ... يحسم

كلما ... كئائب الفلانة تلقى ظلها على

الكون ... تظهر أم هرم »

أم هرم : احتشدت نسوة الحى من أهلك وجيرتك يستطلعن

بأ جلد الضرغام الذى وعدك به عنبرة ...

عجبة : « مهمة جلد الضرغام ... ليتنى أستطيع أن أبسط

لهنَّ جلد عنبرة يستمتعن بمرآه ! ...

« تتوافد نسوة الحى فيملأن الرحبة ...

تقدسن بجلاء »

نجلاء : ألم يأت عنبرة بجلد الضرغام ؟ ...

عجبة : لم يأت بعد ...

نجلاء : إني ليخامرني الريب في نجاح هذه المغامرة ...
هند : أيّ ريب تقصدين يا نجلاء ؟ ...
نجلاء : من يدري لم أخرج ؟. ألتصيد الضرغام ، أم لاقتناص
المها والنزلان ؟ ...

« النسوة ينبئن ضاحكات . . . »

يبدو لي أنها حيلةٌ تُخدع بها قلبك الرقيق ! ...
هند : « لنجلاء ، أأصابك مس فجعاتٍ تخطاين ؟ ... »
عبلة : فيم هذا النقاش يا صويحبات ؟. الخطب هيّن ... مالنا
الآن ولعنثرة وجلد الضرغام ؟ ... ألا تعلمن أننا
في حضرة الأمير عمارة الكندي رأس بني زياد ؟ ...
« تشبه لي الأمير عمارة . . . »

النسوة : « خافتة أصواتهن يرددن ، الأمير عمارة الكندي ؟ ... »
الأمير عمارة الكندي ؟ ...

نجلاء : عَمُ مساء أيها الأمير ... شرفت ديارنا بمقدمك
الكريم ...

عمارة : إن اغتباطي بكنّ فوق أن بوصف ! ...

- ٢٣ -

عبلة : إن قدوم الأمير علينا عيدٌ أيُّ عيد ، فلنقم له
منهراً جانا يتحدث بهجته القريب والبعيد .

عمارة : أنت تُفعمين قلبي حبوراً ، وتملئين نفسي زهواً
وحُبيلاً ...

عبلة : « صائحة ، انحروا الذبايح ، وأوقِدوا المشاعل ،
وأعدّوا الدفوف ، وادعوا الفتي سيفاً المغنى ...
اعجبوا ...

« يعزى بعض الفتيات والحُدم لإحضار

ما طابته عبلة »

عمارة : ولماذا دعوتِ بذلك الفتى المغنى المسمى سيفاً ؟ ...

عبلة : لينشدنا بعض ألحانه ...

عمارة : هل لى أن أمنى عليكِ ؟ ...

عبلة : تمنى ما شئت ...

عمارة : تنشديننى أنتِ أغنية من أغانيك العذاب ا ...

عبلة : تريدنى على أن أغنى لكِ ؟ ...

عمارة : إذا عددتينى لذلك أهلاً .. تناهسى إلى نشيد صاغه

لكِ عنتره ، فأحسنست غناؤه ...

عبله : سأأشذك لإياه ...

هند : أتغنسين هذا النشيد حقاً ؟ ...

عبله : وماذا في هذا يا هند ؟ ...

هند : «مهاجـه» أذكرك عهد الغائب الذي ألقى بنفسه

في التهلكه من أجلك ...

عبله : ذلك الغائب لم يرع لنا عهده ...

« تقبل الفتيات حاملات الذروف

والمشاعل ، يبنهن الفقى سيف . . . »

هند بعداً لهذا ... لا أطيق أن أشهد حفلاً تدبـحون فيه

عنتره ! ...

« ترح المكان مهرولة . . . »

عمارة : عجباً لسلطان عنتره على بنات هذا الحي ! ...

دعـاء : لا تعجب أيها الأمير ... إن في عينيه وميضاً يفتت

الصخر الأصم ...

عبله : أقصروا عن ذكر عنتره ... فلنبداً مهـرجاننا ...

« تنادى : يا سيف ...

« يتقدم القتي الملقى سيف »

عمارة : نَحُوا سيفاً هذا ! ... أردت أن ...

سيف : لستُ أياها الأمير بسيف قاطع ، وإنما أنا صدق
'مثلهم' الحدّ .

عمارة : لا أبالي السيوف على أى نحو تكون ... عَنَيْتِ

أن تغتني عيلة نشيداً العذب الجميل ! ...

سيف : تشركى عيلةً كثيراً فى غنائها ، فإذا ما اندفعنا نغنى

معاً خَلَّتْ عيلةً و خَلَّتْ عيلةً سيفاً ، فعيلة أنا ،

وأنا عيلة ... و ...

عمارة : خَسَدْتُ أياها السيف المحطم ! ...

« عيلة تتضحك »

عيلة : اضربن بالدفوف يا صويحبات ، واعقدن حلقة

الرقص مبهجات ... « للأمير عمارة » : سأشذك

ما رغبتَ إلى فيه ...

« نشد وهيها ترسل إليه نظرات

اغراء »

أنت للعين ضياءُ أنت للروح دواءُ
أنت يا عبلة أنس لفؤادى وهناء
أنا لا يهدأ شوقى فى بعاد أو لقاء
طيفك المحبوب مُشغلى فى صباح أو مساء
حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكون صفاء
وإذا بي فى حبور وابتهاج واردهاء

* عبلة تنفى بهذه الأيات ، والفنى سيف
يتابعها فى الإنشاد . الفتيات يشتركن معها
فى الفناء ... تنعقد حافة الرقص من الشبان
والفتيات ... الأمير عماره تسرى فيه
نشوة الطرب ، فيدلب إلى الحلقة ، ولا يلبث
أن يأخذ بيد عبلة ، فتتردد للحظة ، ولكنه
يحملها على الرقص معه ، فتقبل عليه . . .
يتراقصان على إيقاع الطبل والدفوف . . .
تبعث من الربوة على حين بغتة صبيحة عالية
تلوها صبيحات ... عنبرة يثب إلى الحلقة ،
كأنه شهاب يهوى من السماء . . . الجمع
فى هرج ومرج . . . عنبرة يدفع الأمير
عماره بجمع يده ، ويجتذب إليه .

عبلة . . . سرعات ما تبدو هند

« إلى جانب عنبرة »

عنبرة : « وقد امتازت حسامه ، إن كنتَ ذا بأس فادراً

عن نفوسك ، قبل أن يطيحَ سيفي برأسك ... »

عمارة : « وقد استل سيفه ، أتلم من مُتنازل ؟ ... »

عنبرة : « لا يعني أن أـلم ... فلتكن من تكون ! ... »

عبلة : « وقد تطلق بحياها ، دامو ذا جلدُ الصُّرغام ! ... »

« تـنو من عنبرة ، فتحول بينه وبين

الأمير عمارة »

إنه الأميرُ عمارة . . . ضيفك . . . فاعرف

واجبك له ...

عنبرة : « الأمير عمارة ، ليُملِكْ سيفي جزاء من يمتن

أدبَ الضيافة ! ... »

عمارة : « ليس مثلي من يمتن أدبَ الضيافة ... »

« أهل الحى يلتفون حول عنبرة ،

ويتهامون مبهذين من نورته ، مشرعين

عليه أن يلتزم جانب الملم »

عنتره : « على الصوت ، إذن فليرحل عنا ... »

« يجتمع قهر من أهل الحلي بالأمير عمارة
ورفاقه ، فيتسارون »

عمارة : سنلتقي يا عنتره^١ يوماً ! ...

عنتره : « صائحا ، سنلتقي لا مَنَاص ... »

« ينصرف الأمير عمارة ومن إليه من
الحاشية والأبواب ... يتقدم عنتره من عجلة
صامتا قد شمع بأفقه ، فيلقى أمام قدميها
جلد الضرغام »

عجلة : « مخاطبة بنات الحلي ، ذلكن^٢ يا صويحبات جلد

الضرغام ... تعالين انظرنه ... قلبنه بين أيديكن
لتتيسن أن عنتره أنجز لي وعده ! ... »

« الميتات يتهاقن على جلد الضرغام
يتفحصنه ثم ينصرفن بين مبهومات
ومصباحات ، ولا يبقى منهن إلا دجاء وهدء »

عجلة : « لعنتره ، إليه فارس^٣ بني عبس ، وسيد حمزة
الحلي ! ... من سجايا الفتي الكريم أن يمنح من بشر

— ٢٩ —

وجهه وإيناس نفسه أضعافَ ما تمنح يداه ...

« عنزة متغضب متأفف في صمت . . »

عبلة : « متوددة ، عنزة . . . عنزة . . .
عنيتني ! ...

« تقبل عليه ، فيترامع عنها متايا . . »

فارسي ... بطل المظفر ...

عنزة : وما ذاك يا عبلة ؟ ...

هند : « مبتهجة ، لقد تكلم . . . لقد تكلم ! ...

ديعاء : وهل قالوا إن عنزة فقد لسانه ؟ ...

عبلة : « دانية من عنزة ، فيم هذه الغضبة التي تمازج

صوتك ؟ ... أكذا نلقى من تحب ؟ ...

هند : « مبتهجة ، نعم ما قلت . . . مرحلي . . .
مرحلي ! ...

عنزة : « لعبلة ، نتظرن أن أمد لك ذراعي ، وقد كنت

منذ هنيهة بين ذراعي ذلك الوغد ! ...

— ٣٠ —

- عبلة : ما أعظم حبّك لإيّاى ! ...
- عنتره : « لعبلة » وقد أنشدته نشيدى ! ...
- عبلة : « ملقية نظرة توصل إلى هند ، كرامةً لهذه الصغيرة فملتُ ... ألحّتْ على طويلاً فاستجبتُ ! ...
- هند : « حيزى خافضة البصر ، كان لزاماً علينا أن نرحب بضيف الحى ...
- عبلة : « وقد أملت رأسها على صدر عنتره ، أسمعْت ؟ ...
- بحقك عندى لم أنشده نشيدك ابتغاء مرضاته ! ...
- « تداعب لحيته »
- أما زلت حانقاً علىّ يا طفلى الغضوب ؟ ...
- دعجاء : « مخممة مغیظة ، يا للمهزلة ! ...
- « تنفى مجلة »
- عبلة : « ورأسها على صدر عنتره ، وهى تربت خده » كيف باغتّنا ولم يشعر بك أحد ؟ ...
- عنتره : كما باغتّ الضرغام فى عرينه ، فلم يشعر إلا بأظفارى وقد شحبت بدمقه ...

— ٢١ —

- هند : يالك من بطل ... بكفك تصرع الأسد ١٢ ...
- عبلة : ماذا أبطأ بك ، وقد وعدتني أن تثوبَ في الظهيرة ؟
- عنتره : ساورت الأسد وقتاً ، حتى ألجأته إلى عرينه ١ ...
- عبلة : ولماذا لم تصارعه في براح البيداء ؟ ...
- عنتره : خشيت أن أضطرَّ إلى معاجلته بضربة سيف ،
فيذنبُ جلده ... وقد أقسمت أن أسلمَ إليك الجلدَ
صحيحاً لا خدش فيه ١ ...
- هند : عجبت كيف لم يبرأك الله أسداً ١٢ ...
- عبلة : إنه الأسد عينه ... تلك هامته الضخمة ، وذانك
ساعدها الباطشان ١ ... وما هذه اللحية الكثنة
إلا لبدة الأسد ١ ...
- « تداعب لميته ، يتضاحك عنتره وهند »
- هند : « محدقة في ذراع عنتره ، لقد ظهر الدم على ضماداتك
من نَزَّ الجرح ... ألا تغيرُها ؟ ...
- عبلة : أخرج أنت ؟ ...
- « ترنوا إلى ذراعه »

— ٢٢ —

- عنتره : إنها ضربة طائشة أرادني بها الضرغام وأنا أساوره ،
فلو فالتني برائته بعنفها لما كان لي إلى الحيّ مردّ ... !
- عبلة : لقد أنجأك الله منها ، فسلمتَ ورجعت ...
- عنتره : رجعت لكي تطالع عيني أولَ ما تطالع وجهَ أميرك
عمارة الكندي ... !
- عبلة : مالنا ولهذا الأمير ؟ ... أنفاس منه ؟ ...
- عنتره : ما أعجب أن تسأليني هذا السؤال ... !
- هند : « لعنتره ، وهبّتك عبلةُ قلبها ، وعن سواك
صانته ... ! »
- عبلة : أسمع أنت ؟ ...
- عنتره : هذا قولها ... !
- عبلة : يا للجحود ... ! وقولي أنا ، أما كاشفتك به
مرات ... !
- عنتره : ليتك تسمعيني إياه الساعة ، فإنني لا أمل سماعه ... !
- عبلة : « وعيناها موصولتان بعينه ، أحبك ...
- عنتره : « منتشيا ، أعيدى قولك على مسمعي ... !

— ٢٣ —

بالله أعيدى ا ...

عبلة : أحبك ا ...

عنتره : زيدينى ؟

عبلة : أحبك ... أحبك ...

هند : حبسبك ا ... ا « لعبلة » لوطاوعته لما انتهت من التكرار أبد الدهر ا ...

عبلة : « لعنتره » إذا رغبْتُ إليك أن تقولها لى ، فكم مرة تستطيعُ أن تعيدها على سمعى ؟ ...

عنتره : أفى حاجة أنتِ إلى سماعها ؟ ... إن كلَّ لفظة تنبِسُ بها شفتاى فى جدِّ أو هزل لتتطوى على حصى إياك ، وإن كلَّ عمل أقوم به فى سفر أو حضر ليحمل لك خضوعَ المحب وذلَّ المستهام ا ...

هند : هذا حق ... « لعبلة » يكفيك منه أنه يحتلب النعاج يديه ، ويباكرك بقَّعب اللابن لا يتخلفُ أىَّ صباح ... عمل لا يرتضيه لنفسه إلاَّ الأرقاء ا ...

عنتره : « لعبلة » أخبرينى : ماذا تبغين منى فوق احتلاب النعاج ؟

هند : « لعنتره ، وأنا ... أليس لي أن أسألك شيئاً ؟ ...

عبلة : بدأ قلبُ الصغيرة يفتتح يا عنتره ... حذارٍ من

غيرتي حذارٍ ! ...

عنتره : ليتني أجدُ الوسيلة إلى إثارة هذه الغيرة ...

هند : ألا تجدني أهلاً لأن أثيرَ غيرتها ؟ ...

عنتره : « لهند ، ما أحبُّ إلى أن تكوني لذلك أهلاً ...

« مداعباً ، سلى ما بدا لك ! ...

هند : أسألك أن تحضري ... أن تحضري

« متجيرة »

عبلة : أحضري لها أسداً ...

هند : « صائحة ، أجل ... أسداً ... أسداً ...

عبلة : أسداً من عجوة ...

عنتره : « متصايحاً ، من عجوة ؟ لا ... لا ... إنك تعجزيني

يا هند ! ...

« بنضاحكون »

عبلة : « متدلة ، إن إليك مطلباً ! ...

- هند : سوى جلدِ الصرغام ؟ ...
- عبلة : « لعنّرة » إنه المطلب الأخير يا عنّرة ...
- هند : مطالبك لا تنفد ا... !
- عنّرة : « لعبلة » أفصحى عن حاجتك ... فذاكِ روحى ...
- عبلة : وعدتُ بهذا المطلب بناتِ الحىّ كلّهن ...
- عنّرة : ما هو يا فتّاننى ... ؟ ...
- هند : « لعنّرة » تجعل الجبل ينقل إليها ، وينقاد لها انقياد
البعير ا ...
- عبلة : « لعنّرة » ليس مطلبي عليك بعزير ...
- عنّرة : من أجل عينيك كلُّ صعب يهون ...
- عبلة : « تداعب لحيتّه » مطلبي أن ... أن ... تخلق لحيتك ا ...
- عنّرة : « دهشا » لحيتى ؟ ... لحيتى أنا ؟ ...
- عبلة : « وما برحت تلاطف لحيتّه » نعم ... لحيتك أفت ا ...
- لحيتك هذى ا ...
- عنّرة : لم أفطنُ إلى ما تقصدين ا ...
- عبلة : الأمر جليّ يا عنّرتى ... أردت أن تخلق

— ٣١ —

لحيّتك من أجلى ...

عنترة : ولمَ ؟ لمَ ؟ ...

عبلة : « دلال ، إنها كالدَّغْل المشتبك ... شعرها كسنون ...

النصال ... لطما آذاني ...

عنترة : ولكن ... ولكن ...

عبلة : أتجنّى ؟ ...

عنترة : أفى ذلك ريب ؟ ...

عبلة : فلتخلق لحيّتك إذن ...

عنترة : أما من ذلك بد ؟ ...

هند : لا بدّ من ذلك ... لا بد ... لترى عبلة مبلّغ جَبَّك

إياها ! ...

عنترة : « ولند ، أيّها الماكرة الصغيرة ... هيات أن أحضر

لك الأسدَ المصنوع من العجوة ؛ بل سأحضر لك

شِبْلًا قَاطِئًا يتسلل إلى خِباتك ، فيلاعبك بيرانته

اللطاف ! ...

عبلة : « لعنترة ، علام عولت ؟ ...

— ٣٧ —

- عنبرة : « لعنبرة ، سأندب الأمر ... »
- عبلة : « الأمير عمار لم يتوان في الإذعان لما أردت ... »
- عنبرة : « أحلق من أجلك لحيتي ؟ ... »
- عبلة : « كاد يفعل ، لولا أنك هبطت علينا فجأة ... »
- هند : « وقد تناولت سكين عبلة من مكنها ، بهذه السكين أوشك الأمير عمار أن يحلق لحيتي ! ... »
- عنبرة : « وقد انتزع السكين من هند ، هاتبا ... »
- « يتعسس لحيتي مهمها »
- حقاً إنها للحية كثرة يغضة ... شعرها كالنصال !
- « لعبلة ، لطالما آذت وجنتك الذنضة ... سأتي عليها ... ولكن بشرط ! ... »
- عبلة : « في تأمر وصلابة ، بل دون أي شرط ... »
- عنبرة : « صائحاً ، قبلت ! ... »
- « يهرع إلى المناء ، فينب فيه ... »
- « يبدو عظم راوية عنبرة »
- عظم : « محبباً عبلة وهنداً على نحو يشير المرح ، أيرقني الفاتنة عبلة . . . طفلتي الظريفة هند . . . »

كيف حالكا ؟ ...

عبلة : أحسن حال ... وأنت يا عظمم ؟ ...

عظمم : شقينا زمناً بمصاولة ذلك الضُّرغام العتيء ... ثم
أصبنا منه مقتلاً بعد لاي ...

هند : أكان لك في القتال نصيب ؟ ...

عظمم : أفي ذلك تشكِّين يا ظريفتي ؟ ... هل غاب عنك

أن عظمماً يحسن الصيد في القلوات ، وامتشاق

الحسام في ساحة الوغي ؟ ...

هند : ما عهدناك إلا راوية لعنترة ... تخزن في صدرك

قصيده الرائع ! ...

عبلة : « لعظمم » وتلازم ركابه طوال يومك ...

عظمم : ولكن لا تنسى يا أميرني أنني أيضاً عضدُّه الأيمن

في الطعان والضُّراب ! ...

هند : وأين كنت يا فارسي المغوار حين مضى عنترة يواب

الأسد ؟ ...

عظمم : كنت أجوب الوهاد والتَّجَادُهنا وهنالك نافضاً

— ٣٩ —

رماها وصخورها أقتنى أثرَ ذلك الضرغام الشرود ...
هند : بل كنتَ منزوياً خلف صخرة مشرفة ترقب منها عنترة
وهو يصاول الأسد ... لقد عثروا بك وقد أخذ الفزع
منك كل ما أخذ ! ...
عظمم : كذبَ المرجنون ... « لعبلة » أتصدقين بربك
هذه الفِرية ؟ ...
عبلة : إني أصدق فيكَ أمراً واحداً يا عظمم ...
عظمم : هو أنني سيف عنترة المصلت على رقاب أعدائه ...
عبلة : بل إنك الطبل الأجوف يقرعه عنترة فيملاً الجو
بالدوى الصاحب ! ...
عظمم : مولاني الفاتنة تغبط حق وتبخسني قدرى ... آن لي
أن أغضب ... هأنذا غضبت ... سأرفع إلى مولاي
ظلامتى ... أين هو ؟ ...
عبلة : دخل عنترة الحباء ...
عظمم : ما له وللخباء الساعة ؟ ...
هند : ذهب بخنفس قليل بما عليه ...

— ٤٠ —

عظمم : أمز مع التخفيف من ثيابه ، وقد أقبل الليل ؟ ...
 عبلة : لن يخفف من ثيابه ... تريثْ تريثْ عجباً يا عظمم ! ...
 هند : أى عجب ؟ ...
 عظمم : « لعبلة » أصدقنى : أين عنزة ؟ ...
 عبلة : ألم أقل لك فى الحباء ؟ ...
 عظمم : إني ماض إليه ...

« بهم بالسير »

عبلة : « ترده » هو عندك فى شغل ، فالبث مكانك ! ...
 عظمم : لا يشغل عنزة عنى أى شغل ...

« بهم بالسير »

عبلة : قلت لك البث مكانك ... إن فى يده سكيناً أحده من
 حسامه « الظامى » ...
 عظمم : أيقاثل بها ضرغاماً آخر ؟ ...
 عبلة : يقاثل بها أبسوة عاتية يتضامل إزاهها الضرغام خزيا
 وصغاراً ...
 عظمم : يا للعجب ! ...

— ٤١ —

عنتره : « من داخل الحباء ، عبلة ... عُبيلة ... عُبياني ! ... »

عبلة : « ألم تأت بعد على تلك العدوّة اللّود ؟ ... »

عنتره : « من داخل الحباء أيضا ، إني أقذف بها في عُرض

الحباء ... لا رجعة لها بعد الآن ! ... »

« مطعم يستمع دهشاً ... بعد لحظة

يدو عنتره حليق الاجرة ، بإسطاً لعبلة

ذراعيه »

عنتره : « كيف تَـرَينِي عُبيلة ... »

« تحديق فيه عبلة صامتة ، ثم تهفو

على شفتيها ابتهامة يلوح فيها عنتره وميض

السخرية »

أسألك كيف تَـرَينِي ؟ ... »

« مطعم فأغر فاه ، شاحس يبصره .

إلى عنتره »

عبلة : « في فتور ، أتريد الحق ؟ ... »

عنتره : « قولي ... قولي ... »

عبلة : لم أكن أقدرُ أن تستبينَ على محياك سمات الانوثة
على هذا النحو ...

عنبرة : ماذا تقولين ؟ ...

هند : « لعنرة ، شدة ما كانت لحيتك تخفي منك هذه الوسامة ! ..

عنبرة : « لهند في حيرة يشوبها الغضب ، أمنى تسخرين ؟ ...

هند : وحقك ما كذبت ولا سخرت ! ...

عنبرة : « لعبلة ، أفصحى . . . تكلمى بغير ما بدر منك ...

عبلة : « لعنرة ، ليتنى ما رغبت إليك فى أن تنزع هذه
اللحية المبية ! ...

عنبرة : ألم يكن شعرها كسنون النصال ، تتأذى به وجناتك
النضرات ؟ ...

عبلة : ولكنها عنوان الرجولة ، ومظهر الفتوة ...

هند : متى كانت الرجولة بالشوارب واللحية ؟ ...

عنبرة : « لعبلة ، أخطأت إذن فى الاستجابة لك ! ...

عبلة : لست أدرى ...

عنبرة : كيف ؟ ...

— ٤٣ —

- عظمم : « بحمجا ، يا لله من الأعيب النساء ا ...
 عنتره : « لعظمم ، وأنتَ ... ماذا ترى منى ؟ ...
 عظمم : « متلعثما ، أرى ... أرى ...
 عنتره : « صائحا ، تكلم ا ...
 عظمم : أرى عنتره ... وكفى ا ...
 عنتره : حلفت لتصارحنى برأيك فى ...
 عظمم : ما كتبت عنك رأى قط ...
 عنتره : إنك لتكتمنه عنى الساعة ...
 عيلة : « لعنتره ، ليس فى طوقه أن يباهرك بجليته رأيه ...
 عظمم بالرائاء خلىق ا ...
 عنتره : بل بالعقاب جدير ا ...
 عظمم : مولاى ...
 عنتره : « وقد مدّ يده بالسكين لعظمم ، ادخل الحياء
 وانزع عن وجهك ورأسك كل شعرة فيهما ا ...
 عظمم : مولاى ا ...
 هند : أخلق شعر رأسه ولحيته وشاربه جميعاً ؟ ...

عنتره : « صائحا ، وحاجبسيه أيضاً ا ... » لعظمم ، ...
إياك أن تخرج إلينا وفي وجهك ورأسك شعرة
واحدة ا ...

عظمم : ناشدتك الله أن ترحمني ...
عنتره : « يلقى إليه بالسكين ، انصرف عني ، وأتدبر بأمرى ا
« عظمم يتناول السكين بيده ... يعض
إلى الحباء ، وهو يجر قميه جرا . . . »
هند : « تلحق بعظمم ، لا تجزع ... سأعينك على أمرك ...
اطمئن إلي » ا ...

عظمم : « وقد وضع على كتفها يده ، بورك فيك ...
« يعضان »
عنتره : خدعتني يا عبلة ا ... إلى متى تسوميني هذا العذاب ؟
عبلة : « أى عذاب سئمتك ؟ أهو الناسى منك أن تحقق لي
بعض الأمانات الهينات ؟ أهو اختصاصي إياك بحبي
وبوحى لك بمكنون قلبي ؟ ... أهو إباحتي لك
أن تشبب بي ، حتى تنأثرت في الأقاويل وأصبح
اسمي حديث الناس ومُضغّة الأفواه ؟ ...

عنتره : لقد بذلت كثيراً من أجلكِ ...

عبلة : « ساخرة » بذلت كثيراً ... لحية شعناء إن فقدتها

اليوم فلن نفقدها غداً ، وجلد ضرعام قدّمته إلى

لا يتمنر على أحد من مقابلة الحى أن يأتى بمثله :

ذلك كثيرك الذى بذلته من أجلى ... أما أنا فنأجلك

بذلت أعزّ ما ترض به كل فتاة على أى أحد ...

بذلت سمعنى ... سمعنى ...

عنتره : حرصت على أن أسبغ عليك صفات البهاء

والرؤاء ...

عبلة : ولكنك حرصت أول ما حرصت على أن تبلغ

المجد بسم أعددته لك ... بل لى لأدفعك إلى الصعود

فيه دفعا ... لولا شغفك بى لما سميت همتك إلى

خوض موقمة ، ولما جادت قريحتك بيت من

قصيدك الرنان ... بئس ججودك فضلى ...

عنتره : كيف أجحد فضلك ، وأنت مُنيق ، وجبك مله

جوانحى ؟ ...

— ٤٦ —

عبلة : لشد ما يسىء إلى هذا الحب ... ما كان أغنانى عنه ! ...

صار اسم عبلة نهياً للتناذر والسمر ، تلوكه الألسن ،

ويتقول عليه الأفساكون ...

عنتره : حسبك ... ما أرى لى إلا أن أرحل عن هذه الديار ،

حتى تحرس تلك الألسن ...

« فترة صمت ... تدنو عبلة من عنتره ،

وتجلس بجانبه »

عبلة : أترك الحى ؟ ... تتخلى عن عبلتك ؟ ... من يدرأ

إذن عن القوم غارة المعتدى ؟ ... ومن يزود عن عبلة

عيون الطامحين من الرجال ؟ ... حقاً لقد صدق

الأمير عمارة الكندى ...

عنتره : ماذا قال ؟ ...

عبلة : قال : « ستصبحين يوماً فلا ترين لعنتره فى ديارك من

أثر ... لمجرنك لا محالة ... » لقد أسرفت يا عنتره

فما أمسكت منك ! ...

« تنباكي »

— ٤٧ —

- عنترة : على الرغم مني أزمع الرحيل !
عبلة : كيف تسوّل لك نفسك أن تهجرني ؟
عنترة : مادام هذا المجران يَكُمُّ عنك أفواه
المتقوّلين !
عبلة : صمتا يا قاسى القلب ...
« تنباك »
عنترة : « فى ضيق وحيرة ، أما وقد كان من أمر شعرى فيك
ما كان ، فلبس لنا إلا حيلة واحدة !
عبلة : أية حيلة ؟
عنترة : الزواج ...
عبلة : أتمرح أم تقول صدقاً ؟
عنترة : الأمر جدّ ... نتزوج الآن ... الساعة ...
على الفور ...
عبلة : ولكن ... لم هذا التعجّل ؟
عنترة : إن ألسنة الناس قد ...
عبلة : « مقاطعة ، اخطبني إلى أبى أولاً ...

- عنزة : أوّاه من هذا التلكو ...
- عبلة : لا مخلص من أن تخطبني أولاً ...
- عنزة : أبوك الآن في الحيرة يفد على المنذر ...
- عبلة : نلتظر أوّته ...
- عنزة : لا انتظار ولا تمويه ... إني خاطبك إلى نفسك ...
- أرضينني بعلا ؟ ...
- عبلة : رضيتك ... ولكن ...
- عنزة : وماذا بعد ؟
- عبلة : دراية إليه ، ليس انتظار أيام معدودة بكثير ...
- عنزة : صانحها ، لماذا ؟
- عبلة : حتى تنسيت لحيتك ، وتملا عارضيك !
- عنزة : لحيتي ؟
- عبلة : أحسبني أتزوج غلاماً أمرد له خدّ أملس ؟
- عنزة : وأعجباه !
- عبلة : لا تعجب ... أمر الزواج لا يبرم في طرفة عين ...
- هناك ما يشغل بالي غير هذه اللحية ...

عنتره : بأى شيء بالك مشغول ؟
 عبلة : «توسد رأسها صدره ، وتداعب خده ، :
 أخشى أن أفضى إليك بخيئة نفسى ، فلا تقرّنى على
 رأيى ! ...

عنتره : أفصحى ... كل ما تلفظينه من قول حبيب إلى ...
 عبلة : يا أملى العظيم ... أنصت لى ... كاشفتنى أمى حين
 حضرته المنية بأننى لن أوفق فى زواجى إذا لم يهد
 إلى بلى يوم الزفاف حجر الزبرجد ...

عنتره : مطلب يسير ... الأحجار الكريمة ملء الأسواق ...
 عبلة : إنه حجر عزيز المنال ، ماأظنه يعرض فى الأسواق ...
 على أننى لا أرتضى أن تجلب لى حجراً نداواته قبلى
 أيدى الحسان ؛ بل أشتهى حجراً يحمله حبيلى إلى من
 موطنه الأصيل ! ...

عنتره : وأين موطنه ؟ ...
 عبلة : أرانى مغالية فيما أريد ، فلترجىء الزواج ، حتى
 يرجع أبى ...

— ٥٠ —

- عنبرة : أخبريني أين موطن حجر الزبرجد ؟ ...
- عبلة : على مسيرة شهر وبضعة أيام ... في أقصى بلاد فارس ! ...
- عنبرة : « منمنما » ، أقصى بلاد فارس ؟ ...
- « دهب واقفاً ، أنت تحتالين لتُقصيني عنك ... !
- عبلة : بل تمنيتُ أن تجيئني إلى رغبةٍ تعلقَت بها نفسي ! ...
- عنبرة : طالما أجبثك إلى رغباتِ كثار ! ...
- عبلة : إنك لتُمنُّ عليَّ ... وإنك لتُضيّقَ بمطالبي ... لقد صدق الأمير عمارة الكندي إذ قال ...
- عنبرة : ألا فلتنسفِ الصواعقُ أميرك الكندي نفساً ! ...
- عبلة : هديء من روعك . . . ولتنس ما رغبت إليك فيه ...

« لحظات صمت ... تنشد عبلة النغمة

التالية : »

أنت للعين ضياءُ أنت للروح دواء

— ٥١ —

أنتِ يا عبلة أنس^١ لفؤادى وهناء
 حينما ترضين عني يملأ القلب الرجاء
 فإذا الدنيا نعيم^٢ وإذا الكون صفاء
 وإذا بي في حبور وابتهاج وازدهاء

عنبرة : لماذا تنشدنين هذه الأنشودة الآن ؟ ...

عبلة : أطلب بها سلاوة لفؤادى ! ...

عنبرة : قلبي لم يعد يهفو لتلك الانشودة . . . إني عنك

مرتحل ...

عبلة : إلى أين ؟ ..

عنبرة : « وهو يلقي إليها نظرة مهمة » إني عنك مرتحل ...

وكي ! ...

« ينظر عظمه طم حليق الحبة وشعر

الرأس . . . تظهر خلفه هند . . . يلتفت

إليه عنبرة »

إلى يا صديقي الوفي إلى ... سنرتحل معاً ... سنفارق

هذه الديار ...

هند : ترتحلان ؟ ... لماذا ؟ ... ومتى تعودان ؟ ...

— ٥٢ —

عنتره : « وقد أحاط ساعده بعظمي ، يقول لمنده :
سنعود حين تعود إلى الخبي ، ويكتسى وجه عظمي
بالشعر الخيزر ... ! »

» ينصرفت »

الفصل الثاني

« النظر السابق عينه » عبلة جالمة على
 صخرة قبالة خباياها منسوحة الخاطر ، تفكر
 تنهض متهادية في سيرها »

عبلة : « تترنم » :

فيا نسيماتِ البان بالله خبري ...
 عُيلة عن رحلي بأى الموضع
 ويا برق بلغمها الغداة تحيى
 وحى ديارى فى الحنى ومضاجعى
 « يقدم مالك أبو عبلة ، بسمها تترنم »

مالك : لا تفشين تذكرينه ! ...

عبلة : أبتِ ! ...

مالك : حال الحول على ارتحاله ، وما برح لسانك لاهجاً
 بشعره ... !

عبلة : إن هذا الشعر وجيب قلبه يبعث به إلى مع النسيم ! ...

مالك : أو مع البروق والرعود ...

عبلة : أصبح اسمي ملء الدنيا وشغل الناس ، يطوف به
الشعر في سماءات فارس وبلاد الروم ... يعبر الأنهار
والبحور ، وهو حينما نزل يترك نفحة من عطره ،
ثم يحملُ بعد طول التَّطَوَّاف هذه البادية ليهبط
على صدرى فيستقر من قلبي في مستودعه الأمين ! ...

مالك : وما انتفاعك بهذا كله ؟ ...

عبلة : أليس هذا رجماً عظيماً ؟ ...

مالك : إنه لرج ... في عالم الأوهام ! ...

عبلة : لولا الأوهام يا أبت لما قامت للحقائق أوزان ! ...

مالك : كلام أجوف لقننك إياه عنبرة فأحسن تـريده ...

خبريني : ماذا بعد في غيبته ؟ ... أخشى أن يكون

قد أدرك الفتور حبّه ! ...

عبلة : إذن ما بال هذه الرسائل التي تتواتر على ؟ ...

مالك : الرسائل التي يبعثها إليك مع الريح والبرق والرعد ! ...

إنها تحيات عابرة ... تحيات قديمة تقطع الطريق

إليك في أشهر طوال ... ما عليك الآن بالجديد

من أخبار عنزة ؟ ...

عبلة : وفيّ في حبه ، لا ينقطع لحظة عن التفكير في

عبلة ... وهو يجوب الأقطار باحثاً منقباً عن حجر

الزبرجد ! ...

مالك : لو كان في رأسه مُسكّة من عقل لما راح يطوى

رحاب الأرض طلباً لهذا الحجر ! ...

عبلة : لقد آثر الرحلة والاغتراب ابتغاء الحجر ! ...

مالك : كان في وسعه أن يبلغ رصناك دون أن يفارق الديار ...

عبلة : لقد أمرته فأمر ! ...

مالك : لا أحبُّ الرجل ينصاع لفتاة تعبت به عبثَ الرياح

بأغصان الشجر ... إن رجلاً هذا شأنه لا يُرْجى

منه خير ! ...

عبلة : أنا أعلم منك يا أبتاه بأصناف الرجال ...

مالك : عبلة ! ... أنتِ بنفسك معتدّة ، فاحذري أن يوردك

الغرور موارد الشطط ... أتعلمين إلى أيّ المجاهل

طوّحت بهذا الشاعر المِطّواع الخنوع ؟ ...

- عبلة : أعلم أنه يرتاد أصقاعاً تحفّ بها المخاطر ا ...
- مالك : وقد يلقي بها حتفه ا ...
- عبلة : لا يلقي حتفه من يابج لسانه باسمي ... إن اسمي
تعويذة ترد عنه الغوائل ...
- مالك : حتى غوائل الحب ؟ ...
- عبلة : لن يحبّ سوى ... إن قلبه في يدي ا ...
- مالك : متضاحكا ، أو ترك قلبه عندك رهينة ؟ ...
- عبلة : بل تركه ملائكة يميني ا ...
- مالك : عذارى الروم يا عبلة يسبين الرجال بأجسامهن
البضّة المشرب يياضها بحمرة الشفق ا
- عبلة : لن تقع عينه على أجمل مني ...
- مالك : حسّان فارس يجتذبن المهج بسحر عيونهن اللواتي
تتجمع فهن ألوان قوس قزح ...
- عبلة : لن تقع عينه على أفن من عيني ...
- مالك : ديرت كنفا ، ستلين يا عبلة غريرة غافلة حتى
يجيشك عنثرة يوما بمن تخيرها دونك زوجاً ،

وإذن يتبين لك أنك فقدته !

• بصمت لحظة •

كما تفقدن الآن الأمير عمارة ... !

عبيلة : الأمير عمارة ؟

مالك : عظيم قومه جاهلاً وثرأء ، وفقى عشيرته وسامة
وكياسة ... « يدنو منها ، ذلك الذى هفا إليك فؤاده
فكان حظُّه منك التَّمشُّعَ والصدود ...

عبيلة : لم أدرك أن الأمير أولانى نظرةَ عطف ...

مالك : بل أدركتِ ... ولكنك تباعدن بينك وبينه إبقاء
على ذلك الأسود الحشِن الذى لم يعد يصلح
إلاَّ هَوْلَةً يَتَفَرَّعُ منها الأَطْفال !

عبيلة : لا تفس يا أبتِ أن ذلك الأسود الحشِن هو سيف
القبيلة البتار ، وقلبها الخفاق ...

مالك : وأين منا اليوم ذلك السيف وهذا القلب ؟ ... لأنه
يتخبَّط فى مجاهل الأرض ، لا يعرف له أحدٌ من قرار
ولا سَكَن ، وقد نَسِينَا فنَسِينَاهُ ... أما الأمير

عمارة الكندي فهو منا على قرعة ، وقد جاءك
الآن خاطباً ، فاذا تقولين ؟ ...

عبلة : وهل خطبني الأمير خطبة صريحة ؟ ...
مالك : قديم على أمس يدين الأمر ، ويرغب في قول
فضل ...

عبلة : أرجو منك يا أبت ألا تتعجل في إجابة الأمير إلى
طلبته ... بعض الرواية خير ! ...

مالك : « بعد صمت قصير » لوح لي أنه بدع جاء
مُعْجَب .

عبلة : بدع جاء ١٩ ...

مالك : إنها لقادرة أن تسييه ...

عبلة : إن كان الأمير يهواني حقاً ، فلن تقتنه
دع جاء ١ ...

مالك : اعلى يا عبلة أنه سيختارها زوجاً إذا رددته
ورفضت خطبته ١ ...

عبلة : الأمير يا أبت لا يضمن لي في قلبه حباً ... كيف

- تسنى له أن يفكر في دعجاء وهو لى محسب ؟
- مالك : إنه يقبلها زوجاً ليكيد لك كيداً ... سيغدق عليها من
ثرائه وسلطانها ما يجعلها أميرة البداء !
- عبلة : إنها وسيلة للانتقام وضيعة ، لا يرضاها لنفسه إلا خفاف
الأحلام ... ما أحسب عنزة يلجأ إلى ذلك مهما يكن
من أمرى معه !
- مالك : إذن أنت تريدين الأمير على أن يظلّ أبد الدهر
شقياً بك ... يخطب ودك فتصاعمين ، ويتعذب في
سبيلك وأنت عنه تتشاغلين !
- عبلة : « مزهوة » هو الحبُّ يا أبتاه ...
- مالك : إن الأمير لأرجع عقلاً ، من أن ينصاع لمثل هذا
الحب ... سيتزوج دعجاء ، ويروض قلبه على أن
يسلوك وينساك ...
- عبلة : شأنه وما يريد !
- مالك : ثم ماذا ؟
- عبلة : أنت على إسماعدى حريص ... فنادتُك الله أن

— ٦٠ —

تبلىخ الأمير ردّي لياه ...

مالك : ما أرى سعادتك إلا في زواجك بالأمير ...

عبلة : أحبت عنترة ، وسأبقى لحبه وفية ، ولعمده صائنة ...

إنّ بين جنبي قلباً ا ...

مالك : ديفكر لحظة ، سنتدبر الأمر ...

عبلة : « في عزم ، إني أمانة على حيي ، وهيات أن أخون »

قلبي ا ...

مالك : « يدنو منها ويلاطف خدها ، لا تسارع إلى رفض »

خطبة الأمير ...

« تنصرف عبلة ، فيتبعها مالك بنظراته »

حنو وحيرة . . . يقبل سراقه . . . »

سراقه : شيوخ القبيلة يتفقونك ، ويتساءلون: أين أنت ؟ ...

مالك : وفيم ؟ ... هل جدّ من أمر ؟ ...

سراقه : لتبرموا الرأي فيما شجر من خلاف يبتنا وبين

بني قَهْد ...

مالك : « ضجرا ، ليسوا في حاجة إلى رأي ... فليُتَنَفَّذُوا »

ما يشامون ! ...

سراقة : د يصعد فيه النظر هنية ، مابك ؟ ... أجهود أنت ؟ ...

مالك : لستُ بالجهود ... لا شيء بي ... لا شيء ! ...

سراقة : أنت مهموم ورب الكعبة ! ...

مالك : أ كذلك تجدني ؟ ...

سراقة : عيناى لا تكندِ باني ! ...

مالك : وهل تجهل سبب همي ؟ ...

سراقة : من أين لي أن أعلمه ؟ ...

مالك : ألم يصادفك في طريقك إلى شخص ذاهب ؟ ...

سراقة : صادفتني عبلة ...

مالك : وتساألني بعد ذلك : فيم همي ؟ ... !

سراقة : ماذا كان من شأنها معك ؟ ... |

مالك : إن لها رأسا صلباً لا يلين ...

سراقة : وأنت يا مالك لك قلب لهن لا يصُلبُ إزاهن !

أبدأ ...

مالك : ماذا تريدني أن أصنع ؟ ..

سِراقَة : كن لها أبا ... أبا شديد المِراس ... أبا كسائر الآباء
تحت سماء هذه البيداء ! ...

مالك : أفاتك يا سِراقَة أنها وحيدتي ، وأني رُزقتُها
وقد أوفيتُ على الأربعين ، وأنها ...

سِراقَة : فقدتُ أمها وهي طفلة رضيع ، فحُرمَتُ حنان
الأمومة ... ولكنني آخذ عليك أنك جاوزة
في الرُفْق بها والتدليل لها حنان الأمهات ... أنسيت
يا مالك أنك أغضيت على تشيب عنترة بها حتى ملأ
شعره الأصقاع ، ثم أبحت له أن يتحدث في خطبتها
وقد ذاع من أمر هواه معها ما ذاع ، فتمردت على
معرف الأسلاف ، ولم تعبأ بسنة الأعراب ؟ ...

مالك : ألا بُعداً لهذا الأسود الثرثار ... طالما أقض
مضاجعي بما خاض فيه من لغو الحديث ! ...

سِراقَة : كما أقض غيره مضاجعك من قبل ...

مالك : من تقصد يا سِراقَة ؟ ...

سِراقَة : أنسيتُ جُنْدِبا والعطاف وابن الضحاح ... أولئك

- ٦٣ -

الذين شغفهم عبلةٌ حباً ، ثم أورتهم شقاء ، ولم تجب
لهم سُؤلاً ...

مالك : إني لأعجب لماذا لم أضطرها إلى الزواج
بابن الضحاح ؟ ... فتي عزيز الجانب ، على الهمة ،
كريم المحيد ... ذكّرتني يا سراقه ...
لأرغمها على الرضا بالأمير عماره ، حتى لا يفك
من يدي ...

سراقه : لقد أوفت عبلة على العشرين ، وما انفكت تلهو
بقلوب الفتيان ...

مالك : لا يروقها إلا ذلك الأسود البغيض ...
سراقه : أخشى أن يتناول عليها الأمد ، فبقى عانسا لا يآبه
لها أحد ...

« يبدو بجير »
بجـير : « مالك ، شيوخ القبيلة ينتظرون مقدّمك ... الأمر
جدّ ... بنو فهد ... »
مالك : « متعجلاً ، علمت ... علمت ... هلمّ بنا ندبر الأمر

فما يريد منا بنو فهد ...

« ينصرف الثلاثة : مالك، وسراقة، وبجير ... »

بعد لحظة تغامر عبلة وهند ودعجاء . . . »

هند : « لعبلة ، أئمة جديد من تبا عنقرة ؟ ... »

عبلة : لا ينقطع لأخباره عنى ورد ، .. ما من غير يحتاج

الطريق حتى ينقل إلى من شعر عنقرة ما يملأ أفواه

الرؤبان ... !

دعجاء : أين هو الآن ؟ ...

عبلة : تعلين أنه رحل ليبحث لي عن حجر الزبرجد ...

دعجاء : لقد طالت غيبته في البحث عن هذا الحجر ...

هند : ألمّا يعثر عليه ؟ ...

عبلة : إنه لم أجده ...

دعجاء : هيبه لم يجده ... أبطل هاتماً على وجهه طول عمره ؟ .

عبلة : لقد أمرته أن يحضره ... وسيفعل لا محالة ! ...

دعجاء : وفيهم كل هذا العناء ؟ ...

عبلة : في سبيل حي ! ...

هند : يا لحظك البسماء ...

دعجاء : وهل يقتضى الحب هذا العنت كله ؟ ...

عبلة : من أحبني استهان بالشدائد من أجلى ...

دعجاء : ولماذا تعرضين للمخاطر حياته ؟ ... إنك إذا فقدته

فقدت الحبيب والحب معاً ...

عبلة : حب مثلى لا يموت بموت صاحبه ، إنه حب مكتوب

له الخلود ... دتصمت هنيهة ، ... ذكررتنى شأنا :

يحوم الأير عمارة حول ديارنا هذه الأيام ، على غير

عادة وإنف ...

هند : ترامت إلينا أطراف أحاديث ...

دعجاء : لآى شأن يحوم ؟ ...

عبلة : من أجل غادة حسناء ... إن الرجل لا يحوم حول

الديار إلا من أجل امرأة ... إنه كالحق يغمس متشهما

حول جحور الجرذان لا ينمضن له جفن ...

هند : أجرذان نحن فيما ترين ؟ ...

عبلة : بل فيما يرى الرجل يا هند ...

— ٦٦ —

هند : أيجسب الرجل أنه مستطيع أن يتصيدنا كما يتصيد القط فاره ١٩ ...

عبلة : إنه لينهج نهج القط في اقتناص فريسته ا ... يترصد لها مخائلا ، حتى إذا تاحت الفرصة انقضَّ عليها ، فرة يلاطفها ، وأخرى يناوشها ... ويظل معها في معاينة إلى أن تتخاذل قواها ، فيطش بها بطشته الكبرى ... فلنكُنْ على حذر ا ...

دعجاء : يلوح لي أن بين الرجال من يحمل بين جنبيه نفساً أكرم من نفوس تلك القِططة ا ...

عبلة : « لدعجاء » ربما ...

دعجاء : لم تخل الرجال من ذوى همة ونُبل ...

عبلة : كالأمير عمارة الكِندي ا ..

دعجاء : « دهشة » وكثير غيره ... الحق اى لست على بَيِّنَةٍ من نفس الأمير ا

هند : « لعبلة » تقولين إنه يحوم حول الديار من أجل حسناء ا ... فن تكون ؟

- عبله : اخزرى ...
- هند : متضاحكه ، لملك هذه الحسنة !
- عبله : ولم ؟ ... أو أقفرت القبيلة من فتاة سواى تصلح
أن تهفوا إليها أفئدة الرجال ؟ ...
- هند : ينظر الأمير عمارة إليك وحدك نظراتٍ وجد
وهيام ... لم يعزبُ ذلك عن إدراكنا ! ...
- دعجاء : وإنه لراج أن تطارحيه الحب ...
- هند : لعبله ، ولكنك لن تفعل ... وإلا فأين وفاؤك
لعنصرة ؟ ...
- عبله : ولهند ، نسيت أن تقولى أيضاً : وأين وفاؤك
لصديقتك ؟ ... وإن للصدقة كرامةً يجب
أن تُرعى ! ...
- دعجاء : لعبله ، أية صديقاتك تسعين ؟
- عبله : لدعجاء ، ثقي يادعجاء أنى لن أقفَ عقبةً فى طريقك
إلى قلب الأمير ...
- دعجاء : لعبله ، ما أدرى عن أى أمر تتحدثين ؟

عبلة : « لدعجاء ، لمَ التجاهل ؟ ... أعسى تخفين
ما تَقْصِدِين ؟

دعجاء : « لعبلة ، ما أخفيتُ شيئاً ...

عبلة : « لدعجاء ، حسبك كتماناً ... لا تحسبي أنى أحول
بينك وبين زواجك بالأمير ... لقد أذنت لك
بهذا الزواج ١١

دعجاء : « لعبلة ، ناظرة في دهشة وغيظ ، تأذنين بهذا
الزواج ١٢ ...

عبلة : « لدعجاء ، إني أنزل لك عن الأمير عن طيب
خاطر ...

دعجاء : « لعبلة ، وإذا لم تنزلى ؟ ...

عبلة : « لدعجاء ، أنتِ على علم بأن الأمير بي متيم ...

دعجاء : « لعبلة ، ربما كنتِ واهمة ١ ...

عبلة : « لدعجاء ، أظننت أن الأمير قد تعلق بك ؟ ...

هيات لك أن تأخذه إلا مريدى ١ ... قلت

لكِ إني راضية أن أهبك إياه ... إني لمعد

صداقتنا وقية ...

«دعجاء : «دعبله ، لو آنس الأمير منى مخايل عطف لساوع

إلى خطبتي ا ...

عبله : «دعجاء ، هيات لك أن تأخذه إلا من يدى ...

«دعجاء : «دعبله ، أشكر لك ... لا أطلب شيئاً منك ...

هند : ولم لا يتم الأمر على هذا الوجه : عبلة لعنزة ،

ودعجاء للأمير عمارة ؟ ...

عبلة : إلى هذا قصدت ا ...

هند : «دعجاء ، ما بغت عبلة إلا هناع ... إنها تقدم لك

الأمير ...

«دعجاء : «لهند ، يا لك من طفلة ا ...

عبلة : «دعجاء ، لم تعد هند طفلة . . . لقد أتمت

الخامسة عشرة ... لقد أضحت غادة هيفاء ...

«دعجاء : ولكنها ما برحت تردد لغو الأطفال ا ...

عبلة : «دعجاء ، أتتالين منها ؛ لأنها أكدت لك رضى عن

زواجك بالأمير ؟ ...

دعجاء : « لعبلة ، أنا إن أردت الأمير لم يحلُ يبنى .
وبينه أحد ...

عبلة : « لدعجاء ، كما أردتِ عنقرة من قبل ا ...

دعجاء : « لعبلة ، لم أنافسك فيه ؛ لأنه لا يروقي ...

هند : « لدعجاء ، والأمير ؟ ...

دعجاء : قد يكون لى معه شأن ...

عبلة : « لدعجاء ، ألا نخشعين أن أنافسك فيه ؟ ...

دعجاء : « لعبلة ، إذن فأنت تتطلعين إلى اثنين : عنقرة :
والأمير ا ...

عبلة : « لدعجاء ، لست أنا المتطلعة ، بل هما المتطلعان ، وإن
ذلك ليسبب لى كبير غناء ...

هند : « لعبلة ، لقد وعدتِ ألا تحولى بين دعجاء
والأمير ...

عبلة : « لهند ، ما زلت نند وعدى ...

دعجاء : « لعبلة ، لا يعنبنى أن تبسرى بوعدك أو أن
تخلفيه .. ا

- عبله : يا السكبرياء ! ... ويا السخروور ! .
- هند : « لدعجاء ، على ماذا عوَّلتِ إذن ؟ »
- « دعجاء : د لهند ، سارى راى ، لا أنصاعُ لراى أحد ... »
- « تنصرف مهتاجة »
- هند : « لعبلة ، يلوح لى أننا قسونا على دعجاء ... »
- عبله : بل هى على نفسها قسّت . . . إنها لمتقاء !
- هند : لقد سلبتِها بالأمس عنتره ، وأنتِ اليوم تزاحمينا على الأمير
- عبله : ما سلبتُ ولا زاحمتُ ! ... عنتره هو الذى أقبل علىّ ، والأمير هو الذى يتودّد لىّ ، فإذا كنتِ فاعلة ؟ ...
- هند : شأن الأمير غير شأن عنتره ! ...
- عبله : ماذا تريدن أن تقولى أيتها الصغيرة ؟ ...
- هند : أما قلتِ منذ قليل إنى لم أعدُ صغيرة ؟ ! ...
- عبله : أنتِ صغيرة حتى اليوم ، وستظلّين كذلك معى دائماً ! ... ولكننى يسرنى أن أمتع معى إلى حديثك ...
- تكلمّى : ماذا تعلمين من أمرِ عمارة ؟ ...

— ٧٢ —

هند : لقد شَغَفَتْهُ حُبًّا ، يَشِدُّ أَنَّهُ بِدَعِجَاءٍ مُعْجَبٍ ! ...

عبلة : بعض الإعجاب إشفاق ! ...

« تهم هند بالخروج »

إلى أين ؟ ...

هند : إلى دَعِجَاءٍ أُسْرِى عَنْهَا ؟ ...

« تنصرف هند ، عبلة منفردة تفكر ... »

يبدو الأمير عمارة الكندى فى خطا هينة .

عبلة تمس مقدمه

عبلة : « ملتفتة إلى الأمير ، الأمير عمارة ؟ ... »

« فترة سكوت »

عمارة : أأكون قد عكرتُ عليكِ صفوَ أحلامك ؟ ...

عبلة : أيتها أحلام ؟ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطرة بأمر ! ... ذلك واضح على

جبينك الناصع ! ...

عبلة : ربما كنتِ على صواب فيما قدَّرتِ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطر بشخص ! ... ذلك جليّ فى

عينيك النجلاوين ! ...

- عبلة : أى شخص ؟ ...
- عمارة : الذى تعرفين ! ...
- عبلة : أصدق هو ؟ ...
- عمارة : أكثر من صديق ! ...
- عبلة : « ترنو إليه فى تخائب وتدلل ، أحسبتنى هيمسى
بأحد ؟ ...
- عمارة : أخالية القلب أنت إذن ؟ ...
- عبلة : « متضاحكة ، مثلك يا خالى القلب ! ...
- عمارة : ليس قلبى بخالى يا عبلة ... وأنت بذلك عليمه ! ...
- عبلة : « متضاحكة ، فى عبث ، أعلم أن الأمير يحوم حول
الحمى من أجل فتاة ... وإن فى حيثنا لحسانا
فواتن ! ...
- عمارة : هنا فتاة تفوق أتراها حسناً وقتنة ...
- عبلة : إن الناس ليتحدثون بجهال دجواء ! ...
- عمارة : دجواء جميلة ... لا ينكر جمالها أحد ... ولكننى
عنيت ...

- عبلة : « مقاطعة ، أترك عنيبت هندا ؟ ... »
- عمارة : تعرفين من عنيبتُ يا عبلة ! ... »
- عبلة : هل غاب عن فطنة الأير أن التي يعنسيها هو قد تعلق بها
فتى من القبيلة لم يخف أمره ؟ ... »
- عمارة : فتى قد ارتحل إلى ديار نائية ... وأكبر الظن أن
المقام قد طاب له هناك ... »
- عبلة : ما فارق الديار إلا ليبحث لفنائه عن حجر الزبرجد ... »
- عمارة : حجر كريم النهر ، ليست قيمته بزهيدة ... ولكن
العشور عليه لا يستنفد كل هذا الجهد ! ... إن
الأسواق به ملأى ... لو طلب إلى هذا الحجر لقدّمته
في طرفه عين ! ... »
- عبلة : هذا حق ... إن ثمنه لا يعيبك ! ... »
- عمارة : في مكنتي أن أقدم مائة قطعة من حجر الزبرجد ...
لا قطعة واحدة ! ... »
- عبلة : « معاينة ، وما قيمة هذا الشيء الذي تقدمه مستطعاً
في طرفه عين أيها الأير !؟ ... »

عمارة : أليس هذا الحجر طلبة الفتاة ؟ ...
 عبلة : إن طلبتهما أبعد من ذلك مرى وأعزُّ شأنًا ! ...
 عمارة : أى مرى ؟ وأىَّ شأن ؟ ...
 عبلة : عليك أن تدبّر ذلك بنفسك ، لكى تذلل لك
 القلوب ! ...

عمارة : أرغب إليك فى أن تلقىنى علم ما أجهل ...
 عبلة : « فى دلال ، أأنت تجهل ذلك حقاً ؟ » ...
 عمارة : « فى وجد وشغف ، يبدو لى أنى حين أكون معك
 أجهل كل شيء ... أجهل الدنيا والناس ... بل أجهل
 نفسى أيضاً ... لأننى ليختلط علىَّ أمرى ، فلا أعى
 ما أقول ، ولا أدرى ما أصنع ! » ... أريد أن
 ترشدنى ... أريد أن تقول لى : افعلى هذا ، ودع
 ذلك ، فإنك لن تلقى منى إلا سمعاً وطاعة ... يا عبلة :
 مرينى ... ماذا تبغين ؟ ...

« يجنو حيلها »

عبلة : حسبك ... انهض ...

« تأخذ يده . . . يقف الأمير عمارة

أمامها مضطرباً حائر النظرات . . . ترونو

عبلة إليه بسامة الثغر . . . تقول له في صوت

لين النغم » :

بدأت تَفْظَن إلى سريرة المرأة يا صاح ! ...

عمارة : « منه مشا » أحقا !؟ ...

عبلة : هذا ما أراه ! ...

عمارة : إذن أعينيني على بلوغ أمنيته ...

عبلة : أية أمنية لك ؟ ...

عمارة : أن أقتص قلب التي أهوى ...

عبلة : أفى طوقك أن تقتنص قلبها ؟ ...

عمارة : لست على أية حال أقلّ دراية من مزاحمي ...

عبلة : من أين لك أن تعلم أن مزاحمك اقتنص قلبها ؟ ...

قلبه هو الذى وقع فى الشَّرْك ! ...

عمارة : تزعمين أنها لم يهف قلبها إليه ؟ ...

عبلة : لا ريب أن بها عطفاً عليه ... ربما هَوَيْشَه يوماً ! ...

عمارة : إذن لى أن أوْمِّل فى هواها ...

عبلة : إنها لا تقف دون أمك أيها الأمير ... ولكن

اعلم أن الطريقَ إلى قلبها تتناثر فيه الصعابُ

والأشواك ...

عمارة : لأذللنَّ هذه الصعاب مهما يكن من أمرها ، ولا احتملنَّ

هاته الأشواك مهما يكن من وخزها ...

عبلة : أواثق أنتَ بنفسك ؟ ...

عمارة : أعظمُ الثقة ! ...

عبلة : « وقد وقفت وقفة التامر ، أفصحُ عما تريد ، أيها

الأمير ، قل صريحاً ... ماذا تبغى ؟ ...

عمارة : أبغى خِطبتك يا عبلة ...

عبلة : هل يعرف الأمير مرمى ؟ ...

عمارة : لكِ فوق ما تطلبين ... إن العظيمَ في سيالكِ

ليهن ...

عبلة : أتعرفُ أنياق التي تسمَّى بأنياق العُصفورية ؟ ...

عمارة : أعرفها حق المعرفة : قدودها كقدود الظباء ،

وأوبارُها كشِقِّقِ الديباج ؛ إذا انطلقتْ تعدو

فى الیاء لم یسبقها الظلیم ، وإذا نُحِرت وطعمتِ

من لحمها أفتیه أشهى من لحم الحُمْلان ...

عبلة : « فى عزم ، وقد عقدت یدها على صدرها ، أطلبُ

منها ألفاً ...

عمارة : ألفاً ١٩ ...

عبلة : مطلب عسیر ؟ ...

عمارة : الحصول على مائة من هذه النیاق يعد إحدى

المعجزات ... ! إنها عریزة المال ، نادرة الوجود ...

وهى مشته فى مختلف النور ، يتطلب جمعها ضرباً

فى البلاد ، وغیة تستغرق الأشهر الطوال ...

عبلة : لا أقصد أن أجسمك ما لا طاقة لك به ...

عمارة : قد درى تمن ما تطلبین من هذه النیاق ، فأبذله

لك عاجلاً ...

عبلة : ما طلبتُ فتمته ولا ذهباً ؛ بل نیاقاً ...

عمارة : وددتُ أن أطوفَ فى أنحاء الأرض لأجلب لك

تلك النیاق ، ولكن الرحلة تؤخر زواجنا زمناً ...

— ٧٩ —

عيلة : لم يقل عذرة مثل هذا القول ؛ بل ارتحل في طلب

ما أردت وهو راضٍ بخبر ... لقد فارق الديار

وهو يترنم بهذين البيتين :

أَذِلُّ لِعَبْلَةٍ مِنْ فِرطٍ وَجِدِي

وَأَجْعَلُهَا مِنَ الدُّنْيَا اهْتِمَامِي

وَأُسْتَلُّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِي

وقد ملك الهوى مني زمامي

عمارة : كني يا عبلة ...

عيلة : لا تلس أن دعاء لا تطلب ألباً من النياق

العصفورية ! ... فتاة ليست بطموح ... إنى لها

أخت وفيّة ... أستطيع أن أكون رسولك إليها

أسألك : ما مـها ؟ ...

عمارة : يا عبلة كني ... كني ...

عيلة : ماذا أيها الأمير ؟

عمارة : هبيني ضمنت لك أن أسوق إليك النياق الألف

التي طلبتها ، أنتنفسمين على أن تكوني لي ، لا يناعني

— ٨٠ —

فيك منازع ؟ ...

عبلة : إن في الحصول على هذه النياق لمشقةً أىَّ مشقة ، فلم

تُكَلِّف نفسك هذا العناء ؟

عمارة : سألتك : أنتفسين على أن تكونى لى زوجاً إذا

سقتُ إليك النياق ؟

عبلة : « وهى تحدى فيه » أقسم على ذلك ا ...

عمارة : أنتفسين على أن تنتظرينى مهما تَطُلْ غَيْبَتِى ؟

عبلة : أقسم على ذلك ا ...

عمارة : « فى حزم وناكيد » لأجلبَسْهَا لكِ ألفاً من النياق

العُصفورية الأصائل كاملة ا

عبلة : مَرَحْنِى أيها الأمير ا ...

عمارة : لى راحل من فورى ... جوادى خلفَ هذا الخباء

ينتظرنى ...

« يشير لى خباء بين الأخية المتناثرة

فى ساحة الحى »

إلى الملتقى يا عبلة ا

عبلة : إلى الملتقى القريب أيها الأمير ...

« يحيا جيش المرافقة ، ويمشى مهولا ،
تبعه بنظرات زهو واتصار ... تظل رائية
إلى طريقه الذى غاب فيه ... بعد قليل تقبل
من طريق آخر هند ودعجاء باكتين ،
تسرع إليهما عبلة متسائلة . . . »

عبلة : ما بك ؟ ... فيم بكاءك ؟ ... تكلمما ...

هند : أما تراعى إليك الخبر ؟ ...

عبلة : أى خبر أردت ؟ ...

دعجاء : عنزة ... عنزة ...

« تشرق بصرها فلا تقدر على مواصلة

الكلام »

عبلة : ما لعنزة ؟ ...

هند : « فى صرخة أضعفها النسيج ، إنه قضى ...

عبلة : عنزة ؟ ... قضى عنزة ؟ ...

« تقف مشدومة ذاهلة الب . . . »

هند : « وهى ترمى نفسها فى حضن عبلة ، قلت لك إنه قضى

- عبله : من أين استقيتما هذا الخير ؟ ...
- هند : الناس يتناقلونه ...
- عبله : « صائحة » من أتى به ؟ ...
- هند : لست أدرى ...
- عبله : طالما تناقلت السنةُ السوءَ أكاذيبُ تبغى بها جر
المغانم كلا ... ما قضى عنتره فريه
مدسوسة ! ...
- دعجاء : كيف لا يقهني ؟ ... ألسنِ أنتِ التي رميت به
في المهالك ؟ ...
- عبله : لقد أرسلتُه في طلب حجر الزبرجد وإنه
لأت به ! ...
- دعجاء : تحاولين بهذه الشمشقة الجوفاء أن تستري جريرتك ...
لقد نكبتِ القبيلة في أعزُّ بنها ...
- عبله : أمسكي عن هذا الحُرَّاء ...
- دعجاء : « مستأنفة » ... كما نكبتِ القبيلة في فتيان آخرين
قبله ! ... كل هذا إشياعاً لغرورك الطائش وإرواء

— ٨٣ —

لأثر نك الحقاء ا ...

هند : « مغمضة ، ألا تكتفين ؟ ... »

دعجاء : « لعيلة ، مندفة ، لشدما آذيت الناس وكنت ... »

عليهم بلاء مصوباً ... أنسى صنيعةك بحسب

باكرة أجبائك ، وهو قى قبيلة بنى وحيد ؟ ... ألم

نشي نار البغضاء بينه وبين أخيه الوضاح ، حتى ...

عيلة : « مقاطعة ، لقد كان الوضاح لثيم الطبع زنيا ... »

دعجاء : « لأنه لم يقابل حبك بحباً ... فجزيتيه على ذلك أن

أثرت أخاه عليه بمكر ك وكيدك ، وما زلت بهما

حتى اقتتلا وسقطا صريعين معاً ... »

عيلة : « حدثت نأفه ... كثيراً ما يقع مثله بين الإخوة ... »

دعجاء : « وهل نسي العطف ؟ ... »

هند : « ليس لعيلة إصبع فيما حل به من كارثة ... »

دعجاء : « بل أقرت جريمة لا تُغتفر ... »

عيلة : « أيّة جريمة أقرتها يا جرثومة السوء ؟ ... »

دعجاء : « لقد جفا أمه جفوة شنعاء ، تاركاً لهاها نسيبة الفاقة

والبؤس ، فهلكت فريسة الإهمال والعُقوق ...
وما سوت له نفسه أن يفعل ذلك إلا استجابة
لرغباتك وإيثاراً لمرضايتك... حتى إذا جاء يستنجزك
عهد الزواج لم يجد منك إلا التمسع والإباء ، قد هب
هول الصدمة بعقله ، وهام على وجهه شريداً لا يستقر
به مقام ... والآن ، لقد حان يومُ عنتره ! ...

عبله : « مهتاجة غضبي » ، إن لم تُعسكي عليكِ أسنانك
أرئيتكِ كيف يكون ردى ...

« ترفع يدها في وجه دعباه ... تقول .
بينهما هند ... في هذه اللحظة يبدو مالك .
في جمع من رجال القبيلة ، بينهم ابن فياض
التاجر الرجال ... تأخذ هند بيد دعباه .
وتغضيان إلى جانب »

مالك : « لعبله » ما أظنكِ إلا قد علمت بنيا عنتره ...

عبله : من افترى هذا الخبر يا أبتاه ؟ ...

ابن فياض : أنا الذي حملت إليكم الخبر . . . بما افتريت
ولا كذبت ! ...

- ٨٥ -

- عجلة : ابن فياض ١٩ ...
- مالك : جواب الآفاق ، ورأس تجار البقعة ... لقد أتى في
عيرٍ من فارس منذ قليل ...
- عجلة : « لابن فياض ، وهل لقيت عنزة ؟ ... »
- ابن فياض : لقيته حياً ، وودعته ميتاً ...
- عجلة : « مضطربة مأخوذة ، أوضع ... اصدقني ... »
هل رأيته بعيني رأسك ؟ ...
- ابن فياض : كنت في كرمٍ ما أجمع نفائس البُسُط للبلد
السجنجل ، فصادفت في السوق عظمطماً عليه أسمال ،
يرزح تحت هم ثقيل ، فسألته : ما خطبه ؟ ... فأنبأني
بأن عنزة طريحٌ فراشه تهكته العلة ... فصحبته
إلى مستقرِّ عنزة ، فوجدت ما يخلع القلب أسي
ويثير الدمع ... عنزة العظيم الجبار ملثقي على
حصير في حجرة مهدّمة يجود بنفسه ...
- هند : « في ألم وتحسر ، لابن فياض ، ماذا كان
يشكو ؟ ... »

— ٨٦ —

ابن فياض: لزمته الحمى ، فلم تُبق منه باقية ...

« بصت برمة ، والبيون إليه شاخصة .

عبلة ينشأها ذهول . ابن فياض يتابع قوله «

لقد كان عنتره في بُحْران الحمى حين دخلت عليه ،

ولكنه ما رأى حتى عرفنى ...

عبلة : « فى صوت مختلج الذبرات ، أقال لك شيئاً ؟ ...

ابن فياض: سمعته يردد أليانا يتغنى بها فى مشقة وعناء ...

عبلة : أما استبان لك منها شيء ؟ ...

ابن فياض: أنتِ للعين ضياء أنتِ للروح دواء

عبلة : « وقد شرقت بالدمع أنتِ يا عبلة أنس لفؤادى وهناء

« تنالك على صدر أيتها وقد ملكها

النجيب . . . تهمهم فائقة . . . »

أبت . . . أبتاه . . .

« يلاطفها مالك أبوما منية . . .

يتوسط الجم صاعاً . . . »

مالك : يا بنى عبّس ، قَصَصَ فارس القوم عنتره ، فخيّوا

ذكراه ...

عبله : ياطالما حَفِظَ الدِّمَارُ ، ومنع بنجدته الجار ،
وردَّ عنا عدوان المنير ، وأفاض المغنمَ على أخصيه
الحَيِّ ، وعقدَ لِقِيْلَتِنَا لواءَ السيادة على قبائل
البيداء ! ...

مالك : « بعد لحظة صمت ، يامعشرَ عَبَسَ ، قضى
عنترَةُ ، ولكنَّ قَبِيلَةَ عنترَةَ حَيَّةٌ لم تقض ،
فما زال فيها شبابُ نَهْضَانُونَ ، وكهولُ صناديدَ ...
سرافة : صدقتَ وبررتَ يا سيدَ القوم ، عنترَةُ لا يموت
مادامنا أحياء ! ...

بجير : كل منا عنترَةُ ... إن فعالنا شهود نواطق ...
ابن الزاهد : لقد كان عنترَةُ أحدنا ، ولم يَنتَ له فوز إلا
بسواعدنا ! ...

بجير : كان عنترَةُ شجاعاً بحق ، ولكن ما نفع شجاعة
رجل وحده إذا لم يعزِّزها فرسان أشداء مثله ؟ ...
لولا سيوفنا لما نَبَّهَ لعنترَةَ ذِكْرُنا ...
سرافة : لولا نحن لم يكن عنترَةُ شيئاً ...

عبلة : « صائحة ، أتزعمون أن فيكم ندًا له ، شدةً بأس
و ثباتَ جنان ؟ ...

مالك : « مبتسما ، لعبلة ، أخذتهم حِيَّةُ التفاخرِ
يا بُنَيَّة ! ...

عبلة : « كان عنترَةُ أطولهم باعا وأعنفهم مراسا
وأفصحهم لساناً ... كان سيفُ القيلة البتّار ،
وصوتها الرنان ! ...

ابن الزاهد : « لعبلة ، كل رجل منا يا عبلة سيفٌ للقيلة
بتّار ، وصوت لها رنان ... ليس يشنا وبين عنترَة
إلا أن الحظّ واثاه وأخلفنا ، فتألق اسمه
وعلت مكاتته ...

سرافة : « ثم تحمّدتُ جذوتَه ، وخبا ضوءه ! ...

عبلة : « كلا ... لن يخبُؤَ ضوءه أبدَ الدهر ...

ابن الزاهد : « حسبكم يارفاق . . . أثبتوا للدلا أنكم فعّالون
لا قوالون ... هنا ...

• يتميأ الجمع للانصراف . ميلة تحتجز ابن فياض •

عبلة : « لابن فياض ، حدثني عنه ا... »

ابن فياض: أى حديث تريدان ؟ ...

عبلة : كيف كانت حياته فى مطارح الغربه ؟ ...

ابن فياض: لقد أفضى إلى عظمم بنقف منها . . . قص على

كيف كابدنا مصاعب وتجشما أهوالاً . . . لقد

طوّما فى البلاد شرقاً وغرباً ، وجابا أصقاعاً لم تطأها

قدم عربى من قبل ، وهبطا مدائن عجيبة لم يُسمع بها

إلا فى أساطير الأولين ا... »

يُصمت ابن فياض وعبلة وقد غشيتهما

كآبة »

عبلة : « والدفع يتحير فى مآقها ، أوارِثه التراب

بنفسك ؟ ... »

ابن فياض: كان على أن أدرك القافلة وهى على وشك الرحيل

إلى إبريشم حاضرة بلاد الملك السجسجل ،

فعمدتُ بالأمر إلى عظمم . . . ثنى أنى أدبت

واجبى أتم أداء ... كان عنتره فى القيلة الأجد ،

— ٩٠ —

فحقّ عليّ أن أراه في محنته ...

عبلة : جزيتَ خير جزاء ! ...

« فترة صمت »

ابن فياض: أرغبين في السؤال عن شيء ؟ ...

« تهم عبلة بالكلام ، ولا تلبث أن

تمسك »

ماذا ؟ ... تكلمى ! ...

عبلة : ليتنى لم أبعثه في طلب حجر الزبرجد ... شدّ ما أنا

جائرة ! ...

ابن فياض: ترمى إلىّ أنه لم يحصّل على طابعتك ،

عرضتَ عليه أحجار زرجدية غير أهيلة ،

فأعرض عنها ...

عبلة : « مخممة » لقد لقى في سبيل هذا الحجر المشؤم عنتاً

أىّ عنت ... « قصمت هنية » لا أستطيعك طويلاً ،

فالجمع ينتظرك ... شكراً لك يا ابن فياض ...

ابن فياض: طاب يومك ! ...

« ينصرف ... قبل همد ودهجاء »

عبلة : « في لوعة ، هند ، صابنا في عنزة يحل عن
الزما ...

« تحضن هند فتبكيان ، وتدنو منهما .

دعجاء باكية ... تبدو أم هرم . . . »

أي عنزة المغوار ... أي حامي القبيلة الفذا ...

أم هرم : وماذا بعد ؟ ... كيف كشفن من عبراتكن ... لن يغني
البكاء فتىلا ...

« تندقع باكية ... تمسح عينها بعطف .

خارها »

ورد على الساعة نبأ عجيب ! ...

دعجاء : أي نبأ هذا ؟ ...

أم هرم : يتهامس الناس بعودة الأير عارة ...

« ترهف عبلة سمها »

يتناقلون أنه في طريقه إلى الحى ...

عبلة : أساق معه النياق ؟ ...

أم هرم : لا علم لي بنياقه يا بُنَيَّة ... سمعتهم يتحدثون

— ٩٢ —

عن ركن عظيم يجتاز شعاب « الحواشب » متجهاً
نحو مضارب خيامنا ، وكثيرون يذكرون اسم
الأمير ...

عبلة : « وقد أشرق حيّاها ، من أدب الضيافة أن نخفّ
لاستقباله ... ألا تنهض ؟ ... »

أم هرم : هيّا يا بنية ... نغم الرأي ما رأيت ! ...
« تهرع عبلة منصرفة ، وفي أثرها

أم هرم »
« عجماء : « عاقدة يديها على صدرها ، أدعاها أدب الضيافة
حقاً إلى أن تخفّ لاستقبال الأمير ؟ ... »

« تسكت عن الجواب هند . . . »
ثني ياصغيرتي أنها لا تبكي على عنزة بقدر ما تبكي
على نفسها ... إنها لترى فيه طنبلاً تفرعه فيدو
باسمها ، فإن تمزّق الطبل سارعت إلى البحث عن
طبل جديد ! ...

هند : أواعية أنت ماذا تقولين ؟ ...

— ٩٣ —

دعجاء : نعم ... أعى ما أقول ...

ستدوب أحزائها وشيكا على صدر أميرها

المضطرم ... لن يبق لعترة بعد اليوم في

قلبها مكانة ...

الفصل الثالث

« للنظر السابق ... علة جالسة يباب
خبئها تنزل الصوف وبجوارها هند ... غير
يميد منها مالك يجلس إلى رمل من القبيلة،
بينهم ابن فياض وسراقة وابن الزاهد وبجير »

ابن فياض : « إني لأعجبُ من حَيرتكم ... ألم أقل لكم إني
رأيتُ عنصرةً بعيني رأسي يلفظُ أخريات
أنفاسه ؟ ... ما لكم لا تصدّقون ؟ ... لقد غبتُ
عن الحى قرابةَ ستة أشهرٍ منحدرًا إلى الوراء
في تجارة ، وهأنذا أعود فأجدكم تكذّبونني فيما
كنتُ أخبرُكم به في شأن عنصرة ... لماذا
تكذّبون ؟ ... »

مالك : « لستَ بكاذب يا ابن فياض ... ولكن قد تكون
مخدوعا ! ... »

ابن فياض : « أخدعني عيناى يا مالك ؟ ... »

مالك : يقول ابن مُرَّة إنه لقي عنترة في مشارف الطَّلَقَانِ
بِأَقْلَمِ طَخَارِستان يقود جيشاً عَرَمَراً بِحَارِبُ
بِه التُّرْك ...

ابن فياض : أين ابن مُرَّة هذا ؟ ...
بِحَسِير : لقد ارتحل بِحِيرِهِ إِلَى أَمَام ...
ابن فياض : لو كَانَ بَيْنَنَا الْآنَ لَمَا جَرُّوْا عَلَيَّ أَنْ يَوَاجِهَنِي بِهذه
الْفِرْيَةِ ! ...

مالك : زعم ابن مُرَّة أنه لقي عنترة بعد لقائك إِيَّاه ...
ابن فياض : لا يَبْرَحُ الْمَوْتُ قُبُورَهُمْ يَا مَالِك ! ...
مالك : إِنِّي لَنِي حَبِيرَةٌ مِنْ أَمْرِ عَنْتَرَةٍ ... أَنْتَمِّلْهُ رُوحاً
شَارِدَةً تَهْمُ فِي الْآفَاقِ ، لَا يَسْتَقِرُّ لَهَا قَرَار ! ...
مُشْرَاقَةٌ : إِذَا كَانَ عَنْتَرُهُ حَيًّا ، فَلَبَّاذَا لَا يَرْجِعُ إِلَى الْآهْلِ
وَالْدِيَارِ ؟ ... لَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ دُونَ أَنْ
تَذُرَكَ لَذَلِكَ سَبِيًّا ...

هند : « لَعَلَّة » يَدِجُّ عَنْ حَجَرِ الزُّرْجَدِ ...
« عِلَّة لَا تَحْبِبُ مَشَاغَلَةَ بَعِزِّهَا . . . »

ابن الزاهد: « في دعاية ساخرة ، لقد احتجزته فارس لنفسها ،
فأغرته على جندها ، وقلدته زمام بلادها ...
لسوف يخضع لها الدنيا بأكامها ، ويملا خزائنها
أسلاباً وغنائم ... »

مُجِير : « ضاحكا ، إني لآتمله وقد غدا دهقاناً مهيباً
يرفعل في طباسانه ، ويترعرع رأسه تحت قلنسوة
ضخمة شاهقة ! ... »

سراقة : « وهو يتمايل ضاحكا ، ولم لا يكون قد
غدا ساحراً بجوسياً جليل القدر يحف به الأتباع
والأنصار ؟ ... »

« يقبل حازم

حازم : « لملك ، أعلم أن خزيمة آت بعيره من
دُمنشَق ، وسيبلغ الحى بعد قليل ... »

مالك : « لمن حوله ، هلموا لاستقباله يارفاق ... الكل
منافى هذا العير متاع ... »

ابن فياض : هيا ...

« ينصرف إليك ومن معه هند
تختلس النظار إلى عبلة كأنها تهم بالحديث .
وعبلة على حالها متشاغلة بمنزلها »

هند : « كأنها تناجي نفسها ، أمر عنقرة لم يعد
يشغل بالنا . . . »

« عبلة تناج غزلها غير معنية بما
تسم »

الدنيا كلها تتحدث في شأنه ... سيوآنا ... !

« عبلة كما هي صامتة »

أحى هو أم ميت ؟ ... ألا نستطيع معرفة حقيقة
نطمئن إليها ؟ ...

« عبلة منصرفة إلى منزلها هند
تثور فتجذب المنزل من يد عبلة »

إن حركة هذا المغزل تثير غضبي ...

- عبلۃ : « ناظرة إلى هند ، ثم ماذا يا هند ؟ ...
- هند : ثم ماذا يا عبلة ؟ ...
- عبلۃ : عجباً لك ؟ ... ماذا تريد منى ؟ ...
- هند : أريد أن أعلم : أحي هو أم ميت ؟ ...
- عبلۃ : أو قيل لك إنى عرافة أو ساحرة ؟ ...
- هند : يجب أن تكونى عرافة أو ساحرة لتكشف لك
جَلِيَّة هذا الأمر ... لماذا لم تشاركى رجال
القبيلة فى الحديث حين غاضوا فيه ؟ . . . ألم
تسمعى ما قالوا ؟ ...
- عبلۃ : كنت أستمع لصوت منخرلى ! ...
- هند : أصبحت الآن لا تفارقين هذا المنزل . . .
هو دائماً معك . . . وأنت على نفسك منطوية
لا تنبشين بكلمة . . . ألا يهملك أن تعلّى أن
عنقرة مازال حيّاً يرزق ؟ ...
- « عبلة لا تجيب
- والأمير عُمارة ؟ ... ألا يهملك من أمره شىء ؟ ...

« علة صامتة »

سنة أشهر مضت والامير عمارة يحجوب فيها البقاع
ليسلم شتات النياق العصفورية ... إن الناس
ليتناقلون أنه موفق في مسعاه ... سيعود إليك
يوماً ومن ورائه جموع النياق التي أرسلته في
طلبها إلى لاسائل نفسي : كيف تصنعين
إذا قدم عليك عنزة والامير عمارة في
وقت معاً ؟ ...

علة : « غير مهمة » لا أصنع شيئاً ... !

هند : كيف ؟ ...

علة : هل قدم الامير عمارة وعنزة ؟ ...

هند : لا ... ولكن ...

علة : أراك عجولاً . . . أنريدن أن تسبق

الحوادث ؟ ... دعي الأمور تجري في أعينها

يا صغيرتي ...

« تجذب المنزل من يد هند ... »

هند : « وهى تحاول أخذ المنزل ، لا ... لا ... »

أَتَبْتَغِينَ أَنْ تَعُودِي لِـمِنْزَلِكِ وصمتك ؟ ...

هذا لا يطاق ! ...

عبلة : أَنَحْسَبِينَ أَنِي أَصَمْتُ إِذَا خَلَوْتُ بِمَنْزِلِي ؟ ... إني

لأناجيه ويتاجبنى بأعذب الكلام ... تعلّمي يا صغيرتي

أَنْ تَكْرِنَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مِغْزَلِكِ متاجاة ! ...

هند : لقد أصبحت أنتِ ودعجاء لا نانسآن إلا إلى المنزل

والصمت ...

عبلة : أَكذلكِ دعجاء حقا ؟ . . سَينظر أَيْنَا

أَسْبَقُ غَزْلا ! ...

هند : مَكْتُوبٌ لَكَ الْفَوْزُ دَائِمًا ...

عبلة : « ضاحكة ، سَادَعُهَا فَوْزٌ هَذِهِ الْمَرَّةَ ...

هند : بَرَبِكَ خَبَّرْنِي يَا عِبْلَةَ ، أَيَّمَا أَحَبِّ إِلَيْكَ ، حَجَرٌ

الزبرجد أم النِّسْيَاقُ العصفورية ؟ ...

عبلة : « تحديق فيها مبتسمة » وَأَنْتِ مَاذَا تَفَضَّلِينَ

- ١٠١ -

لو كنت مكانى ؟ ...

هند : « بعد روية ، كنت . . . أفضل حجر الزبرجد . . . »

عبلة : « والنيّاق الألف . . . ألا يهفو لها فؤادك ؟ ... »

هند : « حجر الزبرجد أثمن وأغلى ! ... »

عبلة : « وهى تربت خدّها مداعبة ، أنت تفضّلين يا بنية صاحب الحجر لا الحجر نفسه . . . لقد شرع قلبك يتفتّح حقّاً ... حذار يا صغيرتى حذار ... لقد أصبحت تنافسينى فى حبّ عنترّة ، كدعجاء ... »

هند : « أنظنين أن دعجاء تنافسك ؟ ... »

عبلة : « دعجاء تحبّ عنترّة ... لم يعد ذلك سرا خفيا ... ألم نخط له قبراً ليكون لها مزاراً ومبكّى ؟ ... لقد جاهرت بمكنون قلبها حين ذاع نعيّ عنترّة ! ... »

هند : « كان خيراً لها أن تجاهر بحبه ، وهو حى مقيم ! ... »

- ١١٢ -

عبد : إنه لأحزم من أن تفعل ما تقوإن ... إن الميت
لا يملك قلبها هولا ولا رضا ... أما الحي ...
هند : ممتة الجملة ، قلل لسان قد يجرح به قلبها إذا
انقضى الأمر ...

عبد : قلت صواباً ... والقلبان وقد حملت إلينا الأنباء
بنت عنترة ، زينة عجا ، قد مدحت القبر وراحت
في لبوس اللؤلؤ الحبول تحاول أن تستر
ذلك الموى ..

هند : ليت شعري ، الكبر عترة بنو قلبها أيضا ؟ ...
عبد : يحمل بنات تريت خي نسي إلينا الأخبار
نعي الأمير ، لتنظر : انحط له نرا ؟ ولنوازن
بين وبين القبر الملقى سخطه فلا لعنترة : إيهما
أذل على صدق المولى ؟ .. دعينا من هذا ...
ألا تمضي للمستقبل عيمو دسوق في مقدمها إلى
الحي ؟ ... لا ريب أنها ترحر وفاجر الثياب من
سندس ودياج ...

هند : هيا ...

• تهمان بالآهـاب فـلتـاقـا أم هـرم •

أم هـرم : إلى أين تقصدان ؟...

هند : إلى حيث نستقبل عيرَ كُـمُـشْـشُـق ... تتخـيـر من
متاعها ما يحلو لنا ...

أم هـرم : ليست بالعـير ما حـسبـوها عـيراً ... إنما هو جـمـع
حاشد من الناس والجياد والإبل ... يبدو لي أنه
ركبُ أمير عظيم ...

عبلة : أى الأمراء هو ؟...

أم هـرم : إن الغبار المتكاثفَ ليعقـدُ حول الركب سحابةً
كبيرة ، فلم نستطع أن تبين من
القادم ؟ ... بيد أنى سمعتُ اسمَ الأمير عمارة على
كلِّ لسان ...

هند : أحقَّ أن هو القادم ؟...

عبلة : يا طالما حملت إلينا أم هـرم أبناء عودة الأمير عمارة ،
فلما استجلبنا الخبر اتضح لنا كذبه ...

— ١٠٤ —

أم هرم : وما ذنبى يا بنية ؟ ... لاني أنقل ما تلتقطه أذنائى من
حديث القوم ...

هند : وبماذا يتحدث القوم اليوم يا أم هرم ؟ ...
أم هرم : إنكنا تكذبنا فى قولى ...
هند : أقسمت عليك أن تتكلمى ...

• تجتذب أم هرم كلا من هند وعيلة
وتسر الحديث إليهما

أم هرم : إن من بين رجال القبيلة من يتوجسّ شرّاً من هذا
الركب القادم . . . ربما كانت غارة يشنها علينا
أعداؤنا بنو فهد . . . لعيلة ، إن أباك يجمع
الجموع تحرّزاً وأهبة ...

• يقوم بلزم مهرولاً

حازم : ألا تعلمين الخير ؟ ...
عيلة : عجّل وقل ؛ أحرب هى أم سلام ؟ ...
حازم : لقد تجلّى الغبار عن وجه الركب ، فإذا بفارس
يعدو نحونا ... فهل علمتن من الفارس ؟ ...

- ١٠٥ -

عبلة : عجّل وقلّ ... من هو ؟ ...

حازم : احزّرنّا ! ...

أم هرم : أنى مقام دعاية نحن يا حازم ؟ ... أم تراك أثقلت
في الشراب فحشّتنا تهذى ؟ ...

عبلة : قل ، من الفارس ؟ ...

« يظهر عظمم فجأة على رأس الرتبة ،

ثم يفتز دفعة واحدة ، فيندو بينهم ، عليه

ثياب فارسية ثميّة »

عظمم : « وقد سمع سؤال عبلة ، أنا الفارس ! ... »

« عبلة وحمد وأم هرم ينظرون إليه لحظة

مشدوهات يصيح : عظمم ! ... »

عظمم ! . . . »

أجل يا أجباني ... عظمم ...

« هند تتلقى برقبة متصايحة ... يلمع

في رأسها خاطر فترنو إلى عظمم جزعة »

هند : وعنترة ... أحى هو ؟ ...

عظمم : إن الموت ليتيسّر الدنو منه ...

« يتماظم في وقفته متنفخاً »

- ١٠٦ -

لقد نصّبت عنقرة أميراً على بلاد الترك ، يَجْجِي لِي
الحراج ، وينتقى لِي غوالي التحف ...

هند : دع المزاح ... أين هو ؟ ...

حازم : لأنه قادم في حشد مهيب من بني الحنّ ...

عبلة : « وقد أمسكت بيد عظمم » لقد جلب لِي معه حجر
الزبرجد ... أليس كذلك ؟ ...

عظمم : حجر الزبرجد ؟ ... لا علم لِي بهذا الحجر ... لا أذكر
من أمره أي شيء ! ...

عبلة : كيف ؟ ... ألم يُجْبِ عنقرة شرق الأرض وغربها
بحثاً عن هذا الحجر ؟ ...

عظمم : « يضرب كل جبهته بكفه » ذكرتُ الآن ... أليس هو
ذلك الحجر الذي كان مُشغَل عنقرة الشاغل بُعيد
ارتحالنا من البادية ؟ ...

عبلة : إنه هو ! .. ليس ثمة ما يشغَل عنقرة غير هذا
الحجر ! ...

عظمم : الحرب يا بُنيّة ... الحرب ! ... كانت

ثمَّ عنترَةَ الأكبرِ ا ...

عبلة : ألم يعرض عليه التجار حجراً من الزبرجد غير
أصيل ، فأبى أن يقبله ، وأستأقَبَ بحشَه الشاق ؟ ...

عظمم : لا علم لي بشيء من هذا ...

هند : إن صعباً شداداً حاقت بكما في بلاد الغربة : مرض
فانك ، مننك مرهق ...

عظمم : « يقهقه مزهواً في ذهاب وجيته » بل قولي يا صديقة :

صحة موفورة ، غنى عريض ، جاه كبير ... لقد أقبلت

عائنا الدنيا فلم نزل إلا نعيها وعزة ... يبدو لي أن

أخباراً عجيبة تراءت إليكم في شأننا ا ...

حازم : لقد حمل إلينا ابنُ فياض نَعَى عنترَةَ ...

عظمم : « مقهقها » ولماذا لم يحمل إليكم نعي نفسه ؟ ...

لقد لقيسينا في وقت كانت الحمر فيه قد لعبت برأسه ،

فلا غرو أن يرى الأحياء أمواتاً والأموات أحياء ا .

« تقدم دجاء وغيلاء ... يقع بصريحه

على عظمم فتذهلان »

دعجاء ونجلاء : « صاغتین معاً ، عظمم ا . . . عظمم ا . . . »

عظمم : « مقبلا علیہما متصایحا ، دعجاء . . . بجملاء . . .
یا الله . . . کدت أنسکسر کُما . . . »

دعجاء : لماذا ؟ ...

عظمم : « وقد أحاطهما بذراعیہ ، ازددتما فتنة تتخاذل دونها
فتنة بنات فارس ا . . . »

نجلاء : وأنت . . . کدنا نسکرك أيضا ا . . . »

عظمم : أعظم حسنی ، وازداد جمالی ؟ ا . . . »

نجلاء : لا . . . ولكن ...

عظمم : « مقاطعاً فی تحسر ، إذن لقد ذُبلت فتني ،

وضاع عمری ا . . . واحسرتاه علیک یا عظمم ... »

لم يعد لك حظوة عند بنات الحى ا . . . »

دعجاء : کدنا نسکرك وأنت فی هذه الحلة العجيبة ...

« تلتمس حالته منفضة . . . »

أم هرم : ما شہدنا لهذه الحلة مثلاً بین أهل البادية ا . . . »

عظمم : هذا حق . . . حلة فاخرة نادرة . . . « يتخطر فی

مشيته ، ولكن لا تنسوا أنها حلة السفر . . . ماذا
تقولون إذن حين تروني في حلى الأخرى ، محلك
الحرب مثلا ، حُلِّل المحفل ، حُلِّل الولايم ...

حازم : إذن نظمتك من أكاسرة الفرس أو قياصرة الروم ...
عظمم : بل أبهى منظرآ ، وأسمى مقاما . . . آه لورأيتكم
ما حملناه معنا . . . عجائب وغرائب . . . أرهفوا
أسماعكم يا أحبائى ... سأخبركم بما معنا ... قلت
لكم : أرهفوا الأسماع . . . مطارف دُجْسْتِيْقِيَّة ،
حُلِّل مَرْتَبَانِيَّة ، لا ذات مَوْصَلِيَّة ، نمارق
زَنْجَانِيَّة ، سجوف بُوْشَنْجِيَّة ، طنائِس شيرازِيَّة ...
أما الخدم والحشم ، والأرقاء والجواري ، فخذثوا
ولا حرج ...

هند : جوار ؟ ...

عظمم : أجل ... جوار تركيَّاتٌ وروميَّاتٌ وفارسيَّات ...
قيان لا يوجدن في قصور الملوك ...
أم هرِم : يا لله عجب . . . أبهذا كله أنتم ؟ ...

- ١١٠ -

عظمم : وأكثّر... آه لو سمعتم هذه القيان وهنّ يغنين

ويعزفن على آلات الطرب ! ... « لحازم » : ... ألك

علم بآلات الطرب ؟ ...

حازم : إنها الطبلُ والمِزمار ...

عظمم : « مقهقها ، يالكثفلة ... أيّ طبل وأيّ مزمار ؟ ...

أزفهوا أسماعكم يا أحباي ... إنها : الجنّك ،

والأرغّين ، والمِزهرُ ، والصنّجُ ، والقِيثارة ،

والبربط ، و ...

أم هرم : « مشدوّهة ، البربط ؟ ...

عظمم : أجل ، البربط ... البربط ... تن تن تن ... « يحاكي

رنين الأوتار ، لو سمعته يا أمّ هرم وهو يرسل

أنغامه العذاب لرأيت هذه الباديةَ الجرداء وقد

استحاتك فردوساً وارفاً الظلال ، تجوس خلاله

جداول من لجّين ، ولأحسست قلبك يتقد

جباً وصباية ! ...

عبلة : « لعظمم ، لعلمكم قد أصبتم كنزاً ، أو أمطرتكم

- ۱۱۱ -

السما ذهباً يا عظمم ! ...

عظمم : لا هذا ولا ذاك يا بنية ... إنها الحرب ... الحرب

الضروس ... بسواعدنا أصبنا ما أصبناه ... في كل

أرض هبطناها كان النصر معقود اللواء لنا ... لقد

طوئنا في البلاد شرقاً وغرباً ، مُجزنا بقاع السند ،

وشارفنا جبال القفقاز ، طوينا سهول الشيروان

والموقان ... مُفلاحنا الغنائم أُنَى حلتنا ، ومُثقل

الأسلاب رواحلتنا ... ألم يترام إليكم النبا

العظيم ؟ ...

هند : أي نبي تريد ؟ ...

عظمم : لقد عرضوا على عنترة مُلك كلوذستان

الرحيب ...

الجمع : « يرددون » مُلك كلوذستان ؟ ...

عظمم : ولكنه أبى ... أثر على مُلك كلوذستان

رجعته إلى الأهل والعشيرة ... أثر أن يستأنف

معكم حياته الأولى ... إنه ليُكن لكم أعظم الحب

— ١١٢ —

لو تعلمون يا أحبائي ...

دعجاء : أكان يذكّرنا؟ ...

عظمم : لم ينس منكم أحداً ... كان يذكّر الصغير قبل

الكبير ...

هند : ماذا كان يقول في عبلة؟ ...

عظمم : « مفكراً ، في عبلة؟ ... سألتني ا ... » مفكراً أيضاً ،

ذكرتُ ، كان يقال إنها كالقطة ، لا تحسن غير

التخميش والمساء ...

دعجاء : « ضاحكة ، لعبلة ، لقد أحسن وصفك

يا عبلة ا ...

عبلة : إن تلك القطة هي التي يقول فيها :

أنت للعين ضياء أنت للروح دواء

أنت يا عبلة أنس لفؤادى وهناء

نجلاء : إنه شعرٌ قاله فيك قبل رحلته ...

عبلة : لقد كان يردّد شعره في وهو في بُحْران الحمى ،

وسيف الموت على رأسه مُصَلَّت ا ... » لعظمم .

ألم يفعل ؟ ...

عظمى : أذكر أنه كان يردد نشيده هذا في بدء حياته
هنالك ... ولما طوته الحياة الصاخبة في لجتها ،
ودفعت به الحرب في معياناتها ، رأته قد
استبدل بهذا النشيد نشيداً آخر كان يرغب إلى في
أن ألقيه على سمعه ...

عبلة : « مهمة ، أجرؤ على أن يفعل ذلك ؟ ...

هند : أى نشيد كنت تلقيه على سمعه ؟ ...

عظمى : أرهفوا أسماعكم ...

« يلىء »

وفي يوم المعامع قد تركنا

لنا بفعلنا خبراً مشاعاً

أقننا بالذوابل سوق حرب

وصيرنا النفوس لها متاعاً

جِصَانِي كَانَ دَلَالَ التَّايَا

نَحَاضَ غَمَارَهَا وَشَرَى وَبَا

وسيقى كان في الهيجا طيباً

يداوى رأس من يشكو الصُّداعا

حازم : « يضحك ، وهو يردد ، يداوى رأس من يشكو
الصداعا ! ... ما أظرفه ! ...

عبلة : « مهمة ، سيجب هُراء ...

دعجاء : يلوح لى أنه كان لا يُعنيه إلا سيفه وحِصانه ...

عظم : الحرب . . . الحرب دائماً كانت تملأ رأسه ،

فلا يفكر إلا فيها ... « يلتفت إلى الواقفات حوله ،

ولكنه لم يسكن ... لقد أعد لكل منكن هدية فاخرة .

هند ودعجاء ونجلاء : « معا ، بماذا أتى لنا ؟ ... بماذا أتى لنا ؟ ...

عظم : صبركن يا صغيراتى ... إنه سرّ لغترة

لا يوح به لأحد ...

عبلة : إنى أعرف ما خصنى به ... لا أجشعك مشقة البوح

بالسرّ ... إنه حجر الزبرجد ! ...

عظم : ليس لى أن أتكلّم فيما لا أدريه ، ولكنى على يقين

أن وفّاه مَلأى بغوالى الشّحف وروائع الامتعة

وبدائع الخُلَى ... اطمئنوا ... لَيَعْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ
طرائفه ا ... لم أحدثكم بعدُ في أعجوبة الدهر
ومعجزة الدنيا ...

هند : ماذا تقصد ؟ ...

عظمم : أقصد بِهَرُوزَ ... الطاهي الذي استقدمه عنقرة
معه لِيُعِدَّ لَكُمْ طعاماً لم تعرفوا له من قبل مذاقاً ...
أم هرم : كيف ؟... أليس فينا من تحسِّنُ طهيَ الطعام ؟ ...
عظمم : وهل تحسِّبِينَ يا أمَّ هرم أن عنقرةَ يُسَيِّعُ الآنَ
أكل الثريد والمجيع ؟... إن طاهيتنا نَوْبُشْدَجَانِيَّ
الْمُنْبِتِ ، قد بَرَعَ في صنع الفالوذق
المُرْعَفَر ، واللَّوْزِينَجِ المعطر ، والطَّبَّاهِجِ
الرَّشْرَاشِ ، و ...

« تسمع ضجة ، فيمسك عن الكلام
عظمم ، وينصت الجميع ... ثم يصيح
عظمم »

لأنه هو ... عنقرة ...

حازم : « وقد تطلع إلى مبعث الضجة ، ها هو ذا مع الشيخ

مالك، وحوطها ليف من بنى العشرة ...

« لا تكاد علة تسمع ذلك حتى تنقل إلى ...

خبائها فنيب فيه ... همد نقوا أثرها . »

دعجاء : « لنجلاء ، جانباً ، يحسُّ بنا ألا نلقاهُ في ...

هذا الحشدِ الجَمِّ ... هلمِّي نرحل يا نجلاء ...

نجلاء : « لدعجاء ، هامة » - فما لا يحسُّ بك أن نلاقية .

وأنتِ حاطِلٌ لازبته ولا طيب ا ...

دعجاء : حسبك ا ... ما هذا ؟ ...

« تصرفان الفجة تزداد ، ويسم تصارع .

القوم وهتاف الفتيان وأغاريد النساء . عنبرة

يدوى حلة باله البهاء ، وهو يتخمر في

خطاه . وقد أحاطت به من رفته لمة ، بينهم

مالك وابن فياض وسراقة ويحجر وابن

الزاهد . . . حلف عنبرة مواليه في ثياب

فارسية زاهية ، وهم شاه والسلاح ... »

عنبرة : « في لهجة الإمارة ، لأحد مواليه ، هيسا ...

لا تتوانوا في ضرب الخيام ، وأحسنوا تفسيق

الببسط ، ونثر الفارق ، وتعليق النباريس ، وإطلاق

البخُور ... أسرعوا ...

مولى عنقرة: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى ثان من مواليه ، مرتهم يفكُّوا وثاق

الصناديق ويضعوها فى الحباء الكبير .. وليقم على

حراسها اُزْدشِيرُ ... اُسرعوا ...

المولى الثانى: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى ثالث من مواليه ، قل لهروز انحر عشرين

جزورا ، وفرق لحومها فى الناس ... وقس لرنجان

امنح ذوى الحاجة اَعْطيات من الدراهم والدنانير ...

المولى الثالث: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى رابع من مواليه ، وهذا الرجل الذى تصدى لى

فى الطريق مستخفًّا فصرعته ، ماذا صنعتُم به ؟ ...

المولى الرابع: ألقينا جُشَّته بجوار صخرة معاد ...

عنقرة : فليُدقْ له عمودُ هناك ، ولتعلقْ جُشَّته ثلاثة أيام

نَهْهَبِي للنسور والغربان ... لقد تصدى لعنقرة ،

فليلق أشدَّ النِّكال ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « يتلفت حوله ، أين أردبيل ؟ ... أين أردبيل ؟ ... »

« تمنى برهة لا يجيب فيها أحد فيسبح » : أين

أردبيل ؟ ... « يظهر أردبيل وهو يرعد خوفاً ، أقبل »

أيها الآذن الماهر ... كيف سمحت لهذا الأعرج أن

أن يتصدى لي في الطريق ؟ ...

أردبيل : « في ذلة وتغوف ، مولاي ... لقد كنت ... »

عنتره : « اذهب إلى بسطام فدعه يضربك خمسين سوطاً ، »

جزاء تفريطك ! ... « يتضرع أردبيل ويتشفع ... »

يرميه عنتره بنظرة نكراء ، قلت لك امض إلى بسطام

بُنْفَذْ فيك عقوبة التفريط ... خمسين سوطاً ... !

أردبيل : « وهو يطأطأ رأسه ، أمرٌ مولاي ... »

« ينصرف ... يقع بصر عنتره على حازم »

« وأم هرم »

عنتره : « لحازم وأم هرم ، من أرى ؟ ... حازماً ؟ ... »

أمَّ هرم ؟ ... أقبل ، أقبل ، « يبسط لها ذراعيه ، »

فيقبلان عليه ، فيحييهما ، كيف أنتما ؟ ...

حازم : بخير ما دمت أنت بخير يا بُنيّ ...

أم هرم : ألف حمد لله ... لقد اكتحاتُ بمرآك عيناى قبل أن

أموت ... بلغتُ منأى ! ...

عظمم : تموتين ؟ ... من قال ذلك ؟ ... إن الموت لا يتوخى

الصبا يا أُمّ أمّ هرم ! ... لأنه ليستحي أن يمدّ منجله

ليحصدُ الغصنَ الرطيب ! ...

عنتره : « متلفتا حوله » ما أسعدنى بلقياكم بعد طول

ارتحال ! ...

مالك : لقد سُدّتْ بأوتيك الدائر يا فقى العرب ...

سراقه : لقد عاد إلى البادية ربيعُها الذى يُنعمُ عليها بالنماء

والخصب والنضارة ...

بجير : لقد استيقظتْ أفندُتنا ، ودبت فيها الحميّةُ

والفتوة بعد أن ران عليها مُسبات عميق ...

عنتره : ألم تكن لكم غزوة من الغزوات فى مَغبى ؟ ...

ابن الزاهد : كانت لنا مناوشات لا شأن لها ... أعوزنا الرأسُ

المدبر ، والساعدُ الأشدُّ ، والقلبُ الجسور ، فتهبنا
جلائل المواقف ا ...

عنتره : إني أشتوق إلى الخروج معكم في غزوة نفتك فيها
بالعدو ... خبروني : ألم تؤمروا عليكم سيداً يقود
جموعكم إذا جدت الحرب ، بعد أن أتاكم نعيي ؟ ...
« يتبادل بـخير وابن الزاهد نظرات الحيرة ، ...
ابن الزاهد : لم تصدق شائعاتِ سوء ... أنت السيدُ غبتَ
أو حضرت ... طال عُمرُك ا ...

عنتره : ديلتفت إلى ابن فياض ، ولكن أخانا هذا يدعى
أنه أنزلني للحدِّ وسدني التراب ...
ابن فياض : لم أنيس بمنل هذا القول يا عنتره ...
عنتره : « مغضبا ، بل نكبست بما هو أذهي ...
عظمم : لقد رأنا في كرمنا يد السؤال لكل رايح وغادا .
عنتره : أعنترة شريد يستجدي ا ؟ ...
« يمك با بن فياض من قفاه ، ويهزه ، أتجسرو
أن تقول مثل هذا ؟ ...

ابن فياض: نزلت على من السماء صاعقه^١ إن كان لسانى قد
جرى بمثل هذا ...

عنتره : « وقد دفع ابن فياض فألقاه بهيـداً ، لم يَنْتَه
حسابُك معى بعدُ ... اغرُبْ عن وجهى الآن ...

• ينصرف ابن فياض الى جانب وهو يمشى
وملا . وهند تسارق النظر من جانب الحباء
ثم تخرج ، فيقع عليها بصر عنتره ، فيجدف
فيها ملياً
من ؟ ... هند ؟ ... أقبل ... أقبل ...

• يبسط لها ذراعيه ، فتدنو منه في تردد
وتجمل
لم هذا التباطؤ ؟ ... تعالى إلى ...

عظمم : إن هنـدا لَحَيَّـةٌ^٢ ... إنها لأقرب شَبْهاً
بالنَّيْلُوفَرَةِ الغَضَّةِ ... تخشى دائماً الحَـاظِ
الرقباء ... !

مالك : نَيْلُوفَرَةٌ^٣ ؟ ... ماذا تعنى ؟ ...
عنتره : « ناظراً إلى هند ، لقد أحسن الوصفَ عظمم ...
إن النَّيْلُوفَرَةَ أُميرة زهر الماء يا هند ...

— ١٢٢ —

هند : « وقد تدانت منه ، عنتره ...

عنتره : « وقد أحاطها بذراعيه ، إن شمسَ البادية يا غادقِ
الصغيرة تجيد لفناج الأجسام . . . لقد أصبحتِ
فتنةَ الصحراء ... !

هند : وكيف أنت ؟ ... ألقيتَ من السفر عناء ؟ ...

عنتره : إن كل عناء ليزولُ وينزِيلُ حين تَقَرُّ العينُ
بمرأى الأهل والعشيرة ... وأتم ، كيف حالكم ؟ ...

هند : نحن في خير وسلام ...

عنتره : وهُوَ يُجِبَاتِكِ ؟ ... كيف حالهن ؟ ...

هند : كاهن على ما يرام ، كنّ دائماً يسألنَ عنك
وَيَتَسَقَطُنَ أخبارك ...

عنتره : لا أرى منهنَّ واحدة ...

هند : تركتُ عبلةً في الحياء تَتَأَهَّبُ للخروج إليك ا....

عنتره : « وقد بدا عليه تنبه ويقظة ، عبلة ... كيف هي ؟ ...

« تنظر عبلة من جانب الحياء »

أما بَرَحْتُ على حالها طفلة تَحْمِش وتموء كالقطعة

العابثة ؟ ... « يَمَقِّه عنْـترة فيضاحك الجمع
مجاراة له ، ... لماذا لم تَجِيء ؟ ... « تقبل دعْـجاء
ونجلاء ، ... من أرى ؟ ... دعْـجاء ؟ ...
نجلاء ؟ ... أقبلا ... أقبلا ...

« يحْيِيها مشرق الوجه . . . يلتفت إلى

عظمم »

ما قولك يا عظمم في غيد البادية ؟ ...

عظمم : نَسِـلْهُ وُفَـرَاتٌ نَوَاضِرٌ نَمَاهَا جَدُّوْلٌ رَقْـتَرٌ رَاقٍ ! ...
عنْـترة : « لدعْـجاء ونجلاء وهند ، ناظر آليهن بشغف » حَقّاً
ما أسعدني برؤيتكن ! ...

مالك : عجباً لعبلة ... أين هي ؟ ! ...

هند : « منادية ، عبلة ... عبلة ... إن عنْـترةَ يَطْلُبُك

« تظهر عبلة أمام خيائها متلقة بجمل

الضغلام . . . تلبث واقفة كأنها ترتقب

تقدم عنْـترة لصحبها . يقبل عنْـترة فجأة على

مالك منهكاً في الحديث »

عنْـترة : « مالك ، كان المطر غزيراً هذا العام في البادية

فلم تَشْكُ قَحْناً ولا جدباً ... أليس كذلك ؟ ...

مالك : كان الخير وافراً ...

• تسرع هند إلى عبلة وتودع سمها كلات •

هند : « لعبلة ، تقدّمي .. يلوح لي أنه لم يرك ...

• تلبث عبلة واقفة ... أصبح هند بمنزلة »

تلك هي عبلة ... عبلة ...

عنتره : « يلتقي نظرة على عبلة ، ويقول في لهجة لا تخلو من

بجالة ، عبلة ... تقدّمي ... كيف أنت ؟ ...

عبلة : « وهي في مكانها ، أنا بخير ... وكيف أنت ؟ ...

• يذهب مالك إلى عبلة ، ويأخذ يدها

• إلى عنتره

مالك : « لعنتره ، إنها حيّة ... نفور ...

عظم : نيلوفره أخرى ! ...

عنتره : « لمالك ، عهدتها شيطانة لا تفنأ تلهو وتعبث ! ...

مالك : ذلك عهد مضى ... لقد تئير اليوم طبعها ، وبدلت

حالا بحال ! ...

هند : إنها تلوذ الآن بالصمت ، وتلازم دائماً مغز لها .

عنتره : « لعبلة ، كيف ؟ ... أكذاك أصبحت حقاً ؟ ...

— ١٢٥ —

- عبلة : لا مبالغة فيما سمعت ! ...
- عنبرة : ولم تلودين بالصمت وتلازمين المغشول ؟ ... أفي صحبة الناس ما تضيقين به ؟ ...
- عبلة : « رافعة بصرها إليه محددة فيه ، لقد بدالى أن الوفاء فيهم قليل ... !
- عنبرة : الوفاء يا فتاتي كلمةٌ جليلة المعنى ، أخشى ألا تكوني مدركة إياه ...
- عبلة : إني لأذكر معنى الوفاء حقَّ الإدراك ! ...
- عنبرة : « متضاحكا ، وهو يميل على مالك ، إنها تتكلم بلهجة الحكماء والكهَّان ! ...
- مالك : ألم أقل لك إنها تبدلت خلفاً آخر ؟ ...
- هند : « لعنبرة ، أنجدُها قد تغيرت حقاً ؟ ...
- عنبرة : « محدقا في عبلة ، مخاطباً هنداً ، أراها قد ازدادت سُمة ! ...
- هند : إنها لعلی خلاف ذلك ... كيف تزدادُ سُمة وهي لا تَبریمُ خبائها إلا قليلا ؟ ...

عظمم : قد يكون قولك الحق يا هند ... ولكن لا تنسى أن

عيوننا قد ألفت رؤية البيض النواصع من نساء

الفرس والروم ، فأصبحنا نرى لونكن أشد

سمرة مما كنا نرى ...

مالك : وهل في السمرة ما يُعاب ؟ ...

عظمم : لا ... إنما هي الحسنُ خالصاً ...

ابن فياض : لعظمم ، ربما كان لعنترة رأى غير ما ترى ...

عنترة : الحق أن لكل لون روعته ... فالنبايق تختلف ألوانها ،

ولكل لون فضل ومزبة ...

هند : ما هذا ؟ ... أنبايق نحن ؟ ...

عظمم : فيكنّ منها شبة : الرشاقة ، والدلال ، والنفار ،

والظرف ، والحاقة ، و ...

مالك : لم تُخبرنا عنترة أي ألوان النبايق يفضل ؟ ...

عنترة : « متضحكا » ألوانها عندي سواء ... ولقد اقتنيت

منها طاقة مختلفة الألوان ، ولأني بها لسعيد ...

عظمم : هذا شأن عنترة مع الجوارى أيضاً ...

- ١٢٧ -

سرافقة : « لعنترة ، عجباً لك يا عنصرة ... ألا تُؤثر لونا
على لون ؟ ... »

عنصرة : في أى النوعين : الجوارى أو النسيان ؟ ... »

سرافقة : « متضاحكا ، في كليهما ... »

عنصرة : حين يشبهه على الأمر أدعو بعظمم يتخير لى ا ... »

« يتضاحك الجمع »

عبلة : وهل يحسن عظمم ما يهفو إليه فؤادك ؟ ... »

عنصرة : إني بذوقه لراض على أية حال ... ولأنه ليس حسن

الاختيار أئما إحسان في هذا الأمر وحده ا ... »

ولست أعهد إليه في اختيار سيف أو فرس ، فهذا

أتولاه بنفسى ، ولا أعول فيه على غيرى ا ... »

عظمم : إنك لتغلوا يا سيدى ... »

ابن فياض : « لعظمم ، حسبك ما نلت من خبرة ومجد في

شئون الجوارى والنفاق ا ... »

« يتضاحك الجمع ... يدخل مولى من

مولى عنصرة ويدنو منه »

المولى : وَفَدَتْ أَشْيَاخَ بَنِي الْأَرْقَمِ وَبَنِي أَيْمَنَ وَبَنِي صَاعِدَ
تَرْغَبَ فِي لِقَائِكَ ...

عنتره : أَدْخِلْهُمْ الْفُسْطَاطَ الْكَبِيرَ ... « لِمَالِكَ » ...
أَلَا تَسْبِقُنِي إِلَيْهِمْ ؟ ... إِنِّي لَأَحِقُّ بِكَ بِعَدَاهِنِيَّةٍ ...
أُرِيدُ أَنْ أَسْتَبْدَلَ بَنِيَّ بِأَيَّامٍ أُخْرَى ...

مالك : سَأَفْعَلُ ... « يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَمْعِ ، فَلَنَهَضَ إِلَى الْوَاقِدِينَ
لِتَزْدَدِي لَهُمْ حَقُّ الْحَفَاوَةِ ...

« يَنْصَرِفُ مَالِكُ وَالْجَمْعُ فِي أَثَرِهِ ...
لَا يَبْقَى إِلَّا عَنْتَرَةٌ ، وَعَبَلَةٌ ، وَهَمْدٌ ، وَدَعِيَاءٌ
وَعَجَلَاءٌ وَمُعَلِّمٌ »

هند : « لَعْنَتَرَةٌ ، كَيْفَ تَرَى الْبَيْدَاءَ بَعْدَ غَيْبَةِ حَامِلِينَ ! ...
عنتره : أَرَاهَا كَمَا هِيَ ، فَرِيدَةٌ فِي عَظَمَتِهَا ! ...

هند : إِنَّكَ لَتَتَخَادَعُ نَفْسَكَ ...

عنتره : كَيْفَ ؟ ...

دعيجاء : هِنْدُ عَلَى حَقٍّ ... لَقَدْ أَلِفْتَ حَيَاةَ الْحَضَرِ ،
وَتَعُودَتَ عَيْشِ الرِّخَاءِ وَالتَّرَفِ ، فَلَيْسَ بِطَعَا
أَنْ تَبْدُوَ لَكَ الْبَيْدَاءُ تَافِهَةً تَبْعَثُ عَلَى الْمَلَلِ ! ...

— ١٢٩ —

عنتره : حسبي أن أحيا يديسكن ، فأحسّ الدنيا حولي فردوس
بهجة وانضارة ا ...

هند : خداع ومغالطة ا ...

عنتره : ما برحت على حالك يا هندُ طفلةً ملستُ عناداً ...
أخطأت إذ حسبتك قد صرت صبيةً مكتملة
العقل ... أين فيما قلت المغالطة والخداع ؟ ...

هند : أتريد الحقّ الصّراح ؟ ...

عنتره : لا أريد سواء ...

هند : إني لا أكاد أعرفك ا ...

عظمم : اذهب فاستبدل بثيابك الفارسية ثياب البادية حتى
لا يشكرك الأهل ...

عبلة : الثياب مظاهرٌ خارجي لا شأن له يياطن النفس ...

عنتره : أنغيرت حقاً ؟ ...

هند : إني لا أنظر إليك نظرة إلا عرّسني رعدة ... ا

عنتره : « ضاحكا » أو أصبحت مخيفاً إلى هذا الحد ؟ ...

عظمم : كنت قبل أن ترتحل عن البادية مخيفاً ... لست أنسى

أن الأمهات كن يخوفن بك أطفالهن ! ...

عنبرة : « يرمقه بنظرة شرراء ، عظمطم ! ... »

عظمطم : لماذا تنظر إلي هذه النظرة ... لازم على أن

أصارحك بالحق ! ...

عبلة : « لعنبرة » لم يفتر عليك عظمطم ... لقد كان ظاهرك

يلقى الرعب في النفوس ، ولكنك كنت تُكِن بين

جوانحك قلبَ حمَلٍ وديع ! ...

عنبرة : « لعبلة » ، والآن أيَّ قلبٍ أركن بين جوانحي ؟ ...

عبلة : سؤالٌ جوابه إليك ! ...

هند : يبدو لي أنه ليس قلب حمَلٍ على أية حال ! ...

عظمطم : القلب لا يتبدل ...

مجلد : قد يعتري القلبُ بعض التغيُّر ...

عبلة : ولكنَّ جوهره يبقى كما هو ...

ديعاء : قد تتغير اتجاهاته ومنزعه ...

عبلة : العنبرة في كلِّ شيء بالجوهر ...

ديعاء : إن القلبَ يَليّن للملابَسات الحياة ودوافعها ...

عنتره : أسائيل نفسى : أينما الذى تغير ، أنا أم أنتن ؟ ...
أهؤلاء صبايا البادية اللواتى تركنهن غيرات
فى سداجة الطفولة ؟ ...

عجلة : أكنت تريد أن نظل أطفالا أبدا الدهر ؟ ...
عنتره : كلا ... وكذلك الحامل الوديع لا يظل أبدا الدهر
كملا وديما ! ... إنه ليندو كبشاً عتيفا ... !
عجلة : إن بن الكباش ما ينكشف لك عن وداعة
الحملان ! ...

هند : أجنى يا عنتره ، فيم طالت غيبتك ؟ ...
عنتره : شغلتنى الحرب يا هند ... لا أنهى من موقعة حتى
أخوض غمار أخرى ... وللحرب يافتانى سحر ياسر
القلوب ! ... لأنها الحرب : سيوف تلمع ، ورموس
تتطاير ، ودعاء تنسايل ، وغبار يعقد فى السماء
سحاب ، وأصوات هدارة يردد أصداءها الفضاء
الرخب ... وأنا على صهوة « الأبحر » : حصانى
الأعز يصدع بمحمته الصفوف ، ويمينى « الظامى » ،

- ١٢٢ -

سيفي المسلول نتهاوى على حدة الهامات ... تلك هي
الحرب التي وهبتها عقلي وقلبي ، ووقفت عليها
عمرى أجمع ا...

هند : ولكن خبرني : أمن أجل الحرب رحلت عن
الديار ؟ ... ما كانت الممارك تُعوزك في اليبدا ...

عنزة : ليست معارل اليبدا بائي تشفى غصة الصادي ...
شراذم قليلة يمادي بعضها بعضاً في غير حمية
ولا نحس ا ... أما هنالك لجيوش حاشدة ينحسر
عنها الطّرف ، إذا أقبلت أو أدبرت خلتها العباب
تدفع أمواجه ويعلو صخبه ، ثم لا تنجلي الموقعة
إلا عن أسلاب وغنائم يُخطئها الإحصاء ، وإذا
بالمتمصر تدين له بلاد وخلاتق ، وتنحني له رهوس
زانتها التيجان ، وإذا بالدنيا مقبلة تزرف الجاه
والسلطان ا ...

هند : كلنا يعلم أنك رحلت عن الديار من أجل عبلة ...
تطلب لها حجر الزبرجد ا ...

عنصرة : « مردداً في تذكر ، حجر الزبرجد ؟ ... حجر
الزبرجد ؟ ... ربما كان ما تقوين حقاً ، بيد أني
ماكدت أغادر الديار حتى أنفستني قد اندفعت
في حربٍ موصولة الوقائع ، لا أبالي إلا النصر
وكسب المغنم ... وأبصرت الفرصة قد وانتني لأقيم
لهذا « العربي » الذي استهان به أعلاج العجم صرحاً
يتسعالي على كل صرح ، ومجداً يتصاغر دونه كل
مجد ... لقد تركت في كل بقعة حلت بها أراً
مذكوراً من آثارى ، وخبراً دائماً من أخبارى ، فالتناس
يتناقلون حديثي في رهبة وإكبار ...

ديجاء : « حسن ما تقول ، ولكن أكبر الظن أن الحرب
لم تكن وحدها شغلك أشغال ... ليس يبعد
أن تكون حياة الفرس بما فيها من منافع وأطياب
هي التي حجزت عنك هذا الزمن الأطول ...
تجلاء : حياة رفاقة في القصور بين الغواني والقيان ... نحن
نعلم أن عنصرة قلباً طيعاً للاحاظ الحسان ...

عنترة : كان لي هذا القلب أيامَ كنتُ أُنسَحُ في سداجة
الداوة ... أما اليومَ وقد خضتُ غمارَ الحياة في
فارس، وبلوت معايناتِ الهوى بين الغييد، فلم يعد لي
فؤاد يهتز لسحر العيون ! ...

دعائم : وهاته الجوارى اللواتي يزدحم بهن خباؤك ؟ ...
عنترة : لأنهن لسوانح المتعة وحسبُ ... ، يخاطب الجمع ، :
لماذا لم تسألنني عما أحضرتُ لكن من هدايا
ومطرّف ؟ ...

عظمم : يا لها من هدايا وطرف ! ... حليّ نادرة ، وملابس
فاخرة : أقراط ، وشنُوف ، ومعاصد ، وعصائب ،
وخلائل ، ودمايج ، ودُرّاعات ، وُبَساتات ،
وقراطق ... حتى الخفاف المبرقشة لم ينسها ...
آه من الخفاف المبرقشة يا أجباي ! ... شد ما تجمل
القَدَم في هذه الخفاف حين تتخطر على البساط
الموثق ! ... كل ذلك لكنّ أتن ، يتحف به عنترة
هويحاته الصغار من بنات الشيرة ... ديمس في

— ١٣٥ —

- آذانهم ، : إنه ليضمرُ لكنَّ أكبرَ الحبِّ ! ...
- هند : ألسنا لهذا الحبِّ أدلا ؟ ... سألني ماذا فعلتُ هذه
الصويحباتُ الصغارُ حينما جاء من نبال مصرعه ...
- عنتره : ماذا فعلتنَّ ؟ ...
- نجلاء : أقامت دجاء لك قبرا كانت تسبح عليه الدموع ،
تتاجيك وتتاديك ...
- عنتره : « وقد شد على يد دجاء ، يا للوفاء ! ... وأين مكان
هذا القبر يا دجاء ؟ ...
- دجاء : لقد هدمتُ القبر يا عنتره ! ...
- عنتره : كيف ؟ ...
- هند : هدمته حين انتهى إليها أنك ما تزال حيًّا ... ما أغزاها
عن القبر الآن ، وقد رجَّع إليها صاحبُ القبر ! ...
- عنتره : « لهند ، وأنت يا صغيرتي ، إذا صنعتِ حين وفاقك
نعيي ؟ ...
- نجلاء : كانت تذهب إلى الربوة ؛ ربوتك التي كنت تألفها ،
فتذكرك وتتاجيك ! ...

- عنبرة : « لهند ، لقد أحسنت الاختيار ... شكرًا لك ! ...
 « يلتفت إلى نجلاء ، وأنت ماذا كان صديقك ؟ ...
 هند : كانت تؤم الشعب الذي كنت تتخذه مرقبة
 لصيدك ، فتذكرك وتناجيك ! ...
 عنبرة : « لنجلاء ، يا لنبالة النفس ! ...
 « يقف أمام عبلة محققاً فيها ملياً ، وأنت ماذا فعلت ؟ .
 هند : كانت تختلفُ إلى غدير ذات الإصاـد ...
 عنبرة : ما أجمله مكاناً ! ...
 هند : بل ما أعزّه من مكان ! ... أليس هو موطنَ حبكما
 ومهدَ هواكما ؟ ...
 عنبرة : ظريف ما نقولين ... « لعبلة ، أكنتِ تختلفين إلى
 غدير ذات الإصاـد لكي تذكريني وتناجيني ؟ ...
 عبلة : كلا ...
 عنبرة : إذن لم تفعلِ من أجلِ شيئاً ! ...
 عبلة : ماذا كنتَ تريد مني أن أفعل ؟ ...
 عنبرة : أن أذكر في علىّ دمة واحدة ... واحدة على الأقل ! .

— ١٢٧ —

- عبلة : كنت أعلم أنك عائدٌ إلينا لا محالة ...
- عنتره : أكان محاذ أن أهلك ؟ ...
- عبلة : لن تهلك قبل أن تفياني ما طلبت ! ...
- عنتره : « ضاحكا ، لقد جلبتُ معي عجائبَ وغرائب ،
فتخيري منها ما تحبين ...
- عظمطم : « لئنتره ، أما آن للصناديق أن تفتح ، وأن تتنسم
الهدايا عير الصحراء ؟ ...
- نجلاء : في الوقت مُسحة ...
- عظمطم : خيرُ البرِّ عاجله يا حسناؤي ! ...
- عنتره : إنه ليدوب شوقاً إلى فتح الصناديق من أجل نفسه ...
- دعجاء : « لعظمطم ، ألك فيها مآرب ؟ ...
- عظمطم : مآرب شتى يا حسناؤي ! ... لقد وعدني مولاى عنتره
أن يخصني بطرف نفيسة ، جزاء ما صنعت من جميل !
- عنتره : أصنعت لى جيلا ؟ ... أخبرنى ما هو ؟ ...
- عظمطم : أنتكر أنك أنجيتنى من هلاك محتوم فى وقعة
« الماطر » ؟ ...

عنتره : أذكر ذلك ...

عظمهم : لو منعُتكَ أن تُتسجِني ، وتركتُ جسمي تحترمه

سيوفُ العِدا ، فماذا كان يقع ؟ ...

عنتره : كنتَ تموتُ ويهتو أثركَ ...

عظمهم : بل إن عنتره العَظيم هو الذي لا قدر الله يندثر أثره ،

ويضيع ذكره ! ... إن موتَ عظمهم راويةٌ عنتره

وناقِل أخباره ومذيع اسمه في الخافقين ليسعد من

المصائب الجِسام التي ألزمتُ نفسي بأن أدفعها عنك ...

اطمئن ... ان أنجليَّ عنك قط أيها المولى العزيز ! ...

عنتره : حقاً ما أكرمَ ما صُنيت ! ...

« تضاحك الفتيات »

عظمهم : « اللقيات » إن من بين ما وعدني عنتره بإهدائه إليّ ،

طيلساناً من الخَزْ الخُسرواني له لون الأرجوان ...

ليس في سائر التحف ما يَسُدُّه نفاسة إلا طيلسان

شيختنا مالك ... إليّ يا صويحباتي ، إليّ لكي أطلعنَّ

على ما لا عين رأت ولا أذنٌ وعت ولا خطر يبال !

هند : هيّا ...

عنبرة : د لطفه طم ، افتح الصناديق ودع الفتيات يتخيرن

ما يحببن ... أسمع أنت ؟ ...

عظمه طم : السمع والطاعة لمولاى ...

« ينصرف آنذا بد هند وممها دعجاء

ونجلاء ... تبقى عبلة مع عنبرة . . . »

عنبرة : لم لم تمضى مع عظمه طم لتختارى لك شيئاً ؟ ...

عبلة : ليست هدى التى أريدها من هذه الهدايا ... أنت

بهديتى عليم ! ...

عنبرة : تعنين حجر الزبرجد ...

عبلة : لا أعنى سواء ! ...

عنبرة : ألا تروى لك قلاند العقيقان ، وعقود الجمان ؟ ...

عبلة : يروى أن تنجز وعدك إياى ! .. وعدك الذى من أجله

اعتريت ، وفى سبيله تجشمت المصائب والأهوال ...

عنبرة : ومتضاحكاً ، اينك طلبت شيئاً أثمن من حجر

الزبرجد ! ... لقد كان يساع فى أسواق فارس كما

يباع التمر في البوادي ...

عجلة : ألم تحضره ؟ ...

عنزة : أُمِصَّرَةٌ أنتِ على أن تطليه ؟ ..

عجلة : سبق لي أن طلبته ، وسبق لك أن وعدتني به ... هذا

كلُّ ما في الأمر ! ...

عنزة : سأكلف عظمطا أن يحضره لك الآن ...

« ياغث نحو الطريق الذي ساكه عظمط ،

ويهم بأن يناديه »

عجلة : لا تَعْجَلْ ... إنه الآن في شغل ... يوزع الطرف

على الصويجات ...

عنزة : وِدِدْتُ أن تنق لي بعض تلك الطرف ... ماقر لك

في الخلاخل العسجدية المرصعة بفصوص اللؤلؤ ؟ ...

عجلة : لا أحب الخلاخل ، إنها كقيود الأسرى تشمر من

يَلْبَسُهَا بالمدلة ! ...

عنزة : عجباً ... أتريها كذلك ؟ ...

عجلة : وإني لأرى « الرجل ، مشغولاً دائماً بإمدائها

إلى من يحبّ ا ...

عنتره : « مبتسما ، أرجح أنه يؤثر ذلك ليضمن بقاء
محبوبته في كنفه ...

عبلة : وإذا كانت محبوبته مقيمة على عهده ، وفيه لودّه ،
فما حاجته إلى الفيود ؟ ...

عنتره : ... ألا تروك الدُّرّاعات ؟ ... لقد جئت بأشكال
بديعة منها ...

عبلة : إنني لأؤثر عليها قصان البدو ...

عنتره : « وهو يتفحص ثيابها بنظراته » ماذا تلبسين ؟ ...
« ياخذ أنها متلفعة بجلد الضرغام . . . »

عبلة : إنك لترى ما ألبس ...

عنتره : جلدِ ضِرغام ...

عبلة : كلا . . . إنه جلد الضّرغام يا عنتره . . .
ألا تذكر موقعته ؟ ...

عنتره : أذكر ذا ... لقد كانت إحدى معاينات الصبا ا ...

عبلة : كادت معاينات الصبا هذه تورّدك موارد الحكمة ...

عنتره : يا للشداجة ! ... أية هلكة يا عبلة ؟ ... إن صراع
الضرغام ليعد مداعة إذا قيس بصراع الجحافل في
ساحة الوغى' ... ! د يحد بصره في جلد الضرغام ، ...
أراك مازلت متعلقة بجلد ضرغامك هذا على الرغم
بما لحقه من تغير ...

عبلة : إني لممن يتعلقن بأذيال الماضي ، ويحفظن
العهد ، حتى يسقط المتاع ! ... ربما كان ذلك
فيما ترى سداجة وقصر نظر ! ... د تنفص جلد
الضرغام ملياً ، ... أنت على حق ... لقد أدركه
البلى ... فاجعل يمثلي أن تلبسه ... سألقى به !
د تخلع عن كنفها جلد الضرغام وترى به أمام
الحباء : ... ذكرتنى أمراً ، لم أسألك كيف
كان صنيعك بقلب الضرغام بعد أن أصبت منه
سمّةً لا ؟ ...

عنتره : عجيبٌ أمرك يا عبلة ... تسأليني عن أشياء لا أعي
منها قليلاً أو كثيراً ! ...

عبلة : قيل لي إنك أخذت قلبه معك تذكّاراً لهذه
المروقة . . .

عنتره : « مبتسماً وقد عقد يديه إلى صدره » أحقا أخذتُ
قلب المُسرّغام معي ؟ ... لو كنتُ فملت لكان قد
أصابه المَطَب ! ...

عبلة : جوّ فارس مُقلّبٌ لا يساعد على حفظ قلوب
الضراخمة ! ...

عنتره : قد يكون ذلك ...

عبلة : ما أضعف هذا القلب الذي لا يقوى على
تقلّب الجو ! ...

عنتره : ليس لضعف القلب شأن ، إنما هي مُتنة الكون :
تغير وتبدّل بين عشية وصباح ! ...

عبلة : يخيل لي أن هذه السُنّة لم تغزُ بعدُ صحراءنا الجافة ،
حيث تظل القلوب فيها على حال واحد ، لا يدركها
الوَهْن وإن طال المدى ! ...

عنتره : ما زلتِ تذكّرين الصحراء كأنها قلبُ الدنيا

الحُفّاق . . . أنت تعيشين يا صغيرتي في هذه
 البقعة معصوبة العينين لا تبصرين شيئاً من حقائق
 الحياة .. لو تخطيت حدود مكانك لاسفرت لك الدنيا
 عن عوالم رحيبة زاخرة بشتى الطرائف والأعاجيب !
 عبلة : « وقد أسبلت جفنيها متحسرة » ما حاجتي إلى هذه
 العوالم إذا فقدت قلبي ، وأضعت وجداني ... إني
 لأؤثر على هذا أن أقضى عمري لا أسمع ولا أبصر !
 عنتره : لغو أطفال ! ...

« يظهر عظمهم في ضجة ، وهو يحمل
 صندوقاً ، وحوله هند ونجماء ودعجاء ...
 يضع عظمهم الصندوق جانبا ، فبدأ
 التفتات في تقليب ما فيه وتعرف عنوياته ،
 إلا عبلة ، فانها تلزم مكانها لا ترمعه ، فياحفظ
 عنتره ذلك منها »
 عنتره : ألا يروقك شيء مما ترين ؟ ... عندي طرائف
 غير ما في هذا الصندوق ...
 عبلة : لقد أخبرتُكَ بطيائرتي ! ...
 عنتره : « وقد التفت إلى عظمهم ، إلى بمسألة العقيق .

المفضضة ا . . .

عظمم : تلك هي مبي . . . لقد قدّرت أنك تطلبها . . . إن بها

طائفة من روائع القلائد ا ...

« يخرج العلة من صدره ، ويقدمها الى
عنترة . . . يبحث عنترة فيها ، ثم يأخذ
منها حجر الزبرجد . . . »

عنترة : لعيلة ، هالك ما تطلبين ا ...

« تأخذ علة من يده الحجر في صمت ،
ونقله في يدها برهة . هند ونجلاء ودعياه
يقبلن عليها متطلعات . . . تأخذ هند الحجر
من يد علة وتحدق فيه . . . »

هند : أهذا حجر الزبرجد ؟ ...

علة : هو عينه يا صغيرتي ا ...

هند : ليس فيه ما يُغري ا ...

علة : وليس فيه ما يسوغ تحسُّم الأهوال في طلبه ا ...

عنترة : لستُ من الحماقة بحيث أدع مثلَ هذا الحجر يكلفني

أىّ عناء ا . . . لقد عهدت إلى أحد موالى

في الحصول عليه ، فجاءني به من أهون سبيل ...

— ١٤٦ —

دعجاء : « وهى تنظر فى الحجر متفحصة ، حقاً إنه حجر

نفيس ! ...

عبلة : إذا كنت فيه راغبة فإني أهبك إياه طيبة

الخواطر ! ...

دعجاء : إنه لك وحدك ... لقد جلبه عترةٌ من أجلك

أنت ! ...

نجلاء : دعجاء تنطقُ بالحق ... حجر الزبرجد ضائتك

المنشودة منذ أمدٍ يا عبلة ، فما لدعجاء أن

تسلبك إياه ! ...

دعجاء : ليس من شيمتى أن أسلبَ صديقى شيئاً يصبو إليه

قلها ! ...

عبلة : إنى فيه زاهدة ، وعن رضا منى أنزل لك عنه ...

هند : « لدعجاء ، أمعجبة أنت به حقاً ؟

دعجاء : لقد قلت إنه حجر نفيس ، وكفى ...

عبلة : لأنها معجبة به أبداً ... ومازالت أقول لى إن أتردد

لحظة فى أن أهيبها إياه ...

عنتره : «لو كنت أعلم أن دعجاء مشوقة إلى هذا الحجر ،
لجلبتُ لها مثله ...

عبلة : « ولنترة ، أحسب أن دعجاء مُتَوَثِّرٌ على هذا
الحجر تلكَ الخلاخلَ العسجدية المرصعة بفصوص
اللاؤلؤ ... هبها خسلخالا ...

« تتضحك وهي تتلاعب بالحجر في يدها »

دعجاء : ماذا تقصدين يا عبلة ؟ ...

عبلة : لا أقصد شيئاً ...

خطمطم : أقسم برب الكعبة إنى لم أفهم شيئاً مما قلتن ...

عبلة : إن من الشَّعَسَم الكبرى على المرء ألا يفهم ! ...

« تسمع ضجة صادرة من بعيد . . . »

عنتره : ماذا ؟ ... « لمطمطم ، امضِ فاستطلع الأمر ...

« لا يكاد عطاطم يتهاى للانصراف حتى

يرى حازم مقبلاً يهرول . . . »

عنتره : ما وراءك يا حازم ؟ ...

حازم : « فى شئ من الذعر ، الأمير عمارة قدِمَ اللحظة

ثُراً مُخْتَصِفاً ...

عبلة : « وقد قفزت إلى حازم ، والنسيان المصفورية ... »

حازم : إن فضاء الصحراء ليضيقُ بها ...

« عبلة يبدو عليها الابتهاج . . . »

حازم يقول لعنترة :

إن الأمير عمارة يامولاي لا يؤمن له جانب ،

فلتكن منه على حذر ! ...

عنترة : « وقد أدركه بعض الضيق ، ولكنه يتمالك ويتكلف .

الضحك ، الأمير ضيف ، فقيم الحذر ؟ ... »

« يظهر الأمير عمارة بنته على رأس الرتبة ... »

فيقف وقفه المتحدى شاهراً سيفه ... »

عظم : الأمير عمارة الكندي ...

« الجمع يتطلع إليه »

عنترة : « صائحاً ، مرحباً بالضيف الكريم ... »

« الأمير عمارة يثب من الصخرة ، ويخطو

بضع خطوات ، ثم يقف مرفوع القامة شاهخ

الأنف ، مصوباً إلى عنترة نظرات بغيضة ... »

عنترة يتابع قوله : »

تقدم أيها الأمير .. إن عنزة لي رحبٌ بمقدمك !

• الأمير يسير بخطا وثيدة تمر عن اعتداد

بالنفس وكبرياء

عمارة : « لعنزة ، أتذكر يا عنزة ما قلتُ في آخر لقاء

بيننا ؟ ... لقد قلتُ لك إننا سنلتقي يوماً ! ...

عنزة : « متكلفاً ألا بدسام ، وقد اتقينا ... !

عمارة : أعلى حرب ؟ ...

عنزة : بل على سلام ووثام ... !

عبلة : « وقد تقدمت من الأمير تحية تحية بالغة ، أهلاً

بالأمير عمارة ... كنا نرتقبُ أوبسك ... إن

أرجاء البيداء لتجوابُ بهدير النياق ... !

عمارة : إنها ألف لا ينفصها واحدة ...

عبلة : عوفيت أيها الأمير ...

عمارة : « لعنزة ، وحجر الزبرجد ؟ ...

عنزة : لقد زهدت فيه عبلة ! ...

عمارة : يبدو لي ...

عجلة : « لعنّرة » يسرني أن اعلمك الخبر . . . خطبني
الأميرُ عمارة ، وقد رضيتُ له بعلا ...

عنّرة : « ينظر إليها برهة نظرة تفحص ، ثم يقول في تباطؤ »
ما أجمَل أن يجتمع الحسبُ العظيم والفتنة النادرة ! ...
أهشكاً ! ...

عمارّة : يبدو لي ...
عنّرة : « مقاطعاً وهو يرّبّت كتفه » يبدو لك أنه ليس مُمة
بيننا ما يبعثُ على الضغينة ...

عمارّة : « وهو يهزّ يد عنّرة » ما أعزّني بصداقتك ! ...
عنّرة : « وهو يهزّ يد الأمير عمارة » ما أكرم مُصحبَتك !
هند : « كأنها تحدث نفسها » شيء لا يطاق ... « لعظم »
احملْ لنا الصندوقَ إلى الخِباء . . . لا أستطيع أن
أنتقي منه شيئاً هنا ...

عظم : رأى هائب ... هيا ...

« يطلب إلى حازم أن يحمل الصندوق ،
فيجعله ويمضى به ومع عظم . . . »

- ١٥١ -

هند : « لدعجاء ونجلاء ، ما وقوفك هكذا ؟ ... ألا ترافقاني
لنتخير التحف ؟ ... »

نجلاء : لعل دعجاء تؤثر أن تبسقي ، ألا ترين الطريق إلى
عنبرة قد تمهد ؟ ... »

دعجاء : « في أنفة » شد ما تخطئين إذ تحسبيني من هذا
الصنف ... لقد قلت لك غير مرة إن دعجاء تصاف
أن تشرب ثمالة الكأس من أحد ا ... هيتا نتخير
التحف .. »

« تنصرف دعجاء ونجلاء ، هم هند
بالانصراف فتسبقها عبلة وتنتجى بها
أحبة ... »

عبلة : « ولهند ، سأرغب إليك في شيء ... فهل تجيبيني إليه
دون أن تسأليني إيضاحاً ؟ ... »

هند : لك مني ما تشائين ا ... »

عبلة : أرغب في أن تطلبي الفتى « سيفاً » ... زامر الحى ... »

هند : لأنه « منّا » عن كتب يجرس خلال الخيام ... »

عبلة : إذن ... اسمي يا هند ... عي ما أقول ...

« تسر إليها حديثاً . الأمير عمارة
وعنترة في مكانهما يتضحكان ويتنادران »

أفهمت يا هند ؟ ...

هند : فهمتُ يا عبلة ...

عبلة : أجيزلي عطاءه ...

هند : أفعلُ ...

عبلة : عوفيت يا أختاه ! ...

« تنصرف هند »

عنترة : ولعبلة ، أحسب أن النياقَ التي جلبها معه

الأمير عمارة إنما ساقها لك مهراً ...

عبلة : أصبتَ ... إنها لآلف كاملة ... ألف من النياق

الصففورية النادرة ...

عمارة : ومن أكرمها عنصراً ! ...

عنترة : لستُ في ذلك برتاب ... كم لبثت في سبيل جمعها ؟ ...

عبلة : ستة أشهر ...

— ١٥٣ —

- عنبرة : أليس هذا بكثير ؟ ...
- عبلة : إنه أقلّ من عامين اثنين كما ترى ... ١
- فترة ست •
- عنبرة : « للأمير عمارة ، ومن أيّ الأصقاع لممت شتاتها ؟ ... »
- عمارة : من أسواق كثيرة ... لقد طوّقت في بلاد عدة ...
- عنبرة : لمّ اسمُ تفصيد خُسروان ؟ ...
- عمارة : أوفىها هذه النياق ؟ ...
- عنبرة : تَخَصُّسُها الأسواق ...
- عبلة : كحجر الزبرجد ... ١
- عنبرة : قلتِ حقاً ... « للأمير عمارة ، لو كنتُ أعلمُ حاجتكِ إلى هذه النياق لجلبتُ لك منها ما تريد ... »
- عبلة : « لعنبرة ، ولكنني طلبتها منه ... »
- عنبرة : هذا حق ... « للأمير عمارة ، إنني لأرجو أن تصلّني بالأمير أو أصرُّ مودّة لا يشوبُ صفاءها كدر عمارة : إنني لك أدبماً صَفِيسِيّ وفِيّ ... »
- عنبرة : لقد ساءني ما شجّرَ بيننا من خلاف مُقِيلٍ ارتحالي

إلى فارس ا ...

عمارة : إن حسنًا وتكّ بي وحسنًا لفائك إياي اليوم قد عموّا
ما سلف ...

عنبرة : لقد كنتُ فظًا جاني الطابع ... ا

عمارة : ولستك اليوم تقطر ظرفًا وتسيل رقة ... ا

عبلة : لشدّ ما تغيّر ... إن دواء فارس قد بدّل كثيرًا
من شمائله ...

عنبرة : « لعبلة ، ودواء الصحراء ؟ ... ألا يكون له أثر في
تغيير الشمائل وتبديل الطباع ؟ ...

عبلة : لا يقل شأنًا عن دواء فارس في هذا الأمر ...

عمارة : « لعبلة وعنبرة ، ألا تذهب لتشهد النياق الصفورية
في مُناخها ؟ ... « لعبلة » ، إنك بها لخبير ...

عنبرة : سأغيب عنكم ريثما أهدّل ثيابي ...

عمارة : « لعبلة » ، هيّا قبل أن يرتجى الظلام سدوله ...

عبلة : امض بنا ...

« ينصرف الأمير عمارة ومعه عبلة ... »

يشيعهما عترة بنظرائه ، ثم يعتل صخرة
 فيجلس عليها ... تتوافد طلائع الليل ...
 يرنو عترة إلى السماء مرتقباً طلوع
 القمر . . . يلوح القمر زاهياً وعترة
 ما يرح شاحس البصر ... يبدو الفتى سيف ،
 ويقف عن كسب من عترة مزوياً عنه تخفيه
 الغلال ... ثم لا يلبث أن يشدو ... »

سيف : « منشدآء أنتِ للعين ضياء أنتِ للروح دواء
 أنتِ يا عبلة أنس نفس وادي وهناء »

« يتسمع عترة وهو ناظر إلى القمر كأنه
 في حلم ، يقف بقية وقت تملكه الغضب ...
 يتأفك حوالبه »

عترة : « صائحا » من هنا ؟ ...

« يقع بصره على سيف ... يدنو منه ،
 ويمسك به ، يحدثا فيه »

من ؟ ... من ؟ ...

سيف : « في مسكنة وتذلل ، أنا سيف ... غلامك ...
 سيف يا مولاي ... »

عنتره : أما زلتَ حيًّا أيها الكلبُ الشريد ؟ ... ما أتى بك هنا ؟ ...

سيف : جئتُ أنا جئى نفسى بأشودةٍ فى ضوء القمر ...
عنتره : أبقيصيدى تناجى نفسك أيها الوغد ؟ ... كيف استبحتَ لنفسك أن تتغنى بشعرى ؟ ...

سيف : الخلقُ كلهم يستغنونَ بشعرك ، ويتذاكرون أخبارك ! ...

عنتره : حتى الصعاليك من أمثالك ؟ ! ...

سيف : أصعلوك أنا يا مولاي ؟ ...

عنتره : انظر إلى هيئتك ...

سيف : اخلعْ علىَّ مُطرَافًا من مطارفك الفارسية تجسملْ هيئتي ويعملْ مقامى ! ...

عنتره : أمسكْ عليكَ هذركَ ... قلتَ لى لا أحبُّ أن يلوكَ الصعاليكُ قصيدى ... أفأفهم أنت ؟ ...

سيف : لى لكَ مطيعٌ يا مولاي ...

« عنتره يذمُّه . . . يبدو عظيماً . . . »

عظمم : أنتَ هنا يا مولاي والجمعُ هنالك ينتظرُ قدومَكَ ؟ ...

عنزة : ما بدَّلْتُ ثِيابي بعد ...

عظمم : وما مَنَعَكَ أَنْ تُبَدِّلَ ثِيَابَكَ ؟ ...

عنزة : « متضايقا ، نَرْتَرِكَ وَغَاوَتَكَ ! ...

» يلتفت إلى العتي سيف ، ما بَرِحْتَ هنا ؟ ...

اغترِبُ عن وجهي ...

« يهرع إلى سيف متفراً »

عظمم : « وهو يتابع العتي سيفاً بنظره » مَنْ ؟ ...

عنزة : كلب من كلابِ الحيِّ ، اقتحمَ علىَّ خلجوتي ، يقلق

راحتي بإنشاده ...

عظمم : ماذا كان يُنشد ؟ ...

عنزة : نَشِيدُ لَبَلَةٍ ... عَبَسْتُ مِنْ عَيْبِ الصُّبَا الْغَايِرِ ...

عظمم : بل إِنَّهُ لَأَرَوَعُ مَا نَظَمَ ...

عنزة : أُنَسِمُ هَذَا شِعْراً ؟ ... مَا أَسْقَمَ ذَوْقَكَ ! ...

عظمم : أَتَذَكُرُ يَا مَوْلَايَ أَنَّكَ صَدَدْتَ هَذَا النَّشِيدَ وَقَلْبُكَ

بِالْحُبِّ مُفْتَحَمٌ ؟ ...

— ١٥٨ —

عنتره : « متضاحكا ، أى حُبِّ يا عظمم ؟ ... كنت
غريراً لا أفنقه كُنْهَ الحياة ...

عظمم : لقد كان حبك عميقاً ، ولقد كان يلهمك بدائع
القصيد ! ...

عنتره : كان ذلك في غابر الزمان ... عهد تقسّنى ! ...
عظمم : ولكن الشعر باقٍ لا يفنى . . . لأنه منقوش على
صفحة قلبى ...

عنتره : اقصد في ذكره على لسانك ...
عظمم : لم ؟ ...

عنتره : لقد خطب الأميرُ عمارةً عبلةً ، ومودّنى للأمير
مَصُونَةٌ لا أريدُ أن تُجرحَ ... فلتنسَ هذا
الشمرَ القديم الذى عنيّ عليه الزمن ! ...

عظمم : بالضيقِ ما وعاهُ صدرك يا عظمم ! ...
عنتره : لماذا ؟ ...

عظمم : ماذا تركتَ لعظمم أن يثرويه عنك ؟ ...
إن قصيدتك كلّه في عبلة ! ...

عنتره : وشعري في غيدِ فارسَ وصبايا الرومِ والترك؟...

عظمم : ان يبُوحَ لساني بشيء مما قلتَه فيهنَّ ...
أوحسبتَ أنك قلتَ فيهنَّ شعراً ؟ ...

عنتره : أخـَـطـَـرُ عليك إنشادَ شعري قلتَه في عبلة ...
عظمم : حسبي أن أسـَـدِلَ على أستارِ الخِيابِ ، فأنشـَـدـَـه
لنفسى ا ...

عنتره : إنك لتثيرُ غـَـضـَـبي ...
عظمم : « وهو إلى القمرِ ناظر ، تـَـمـَـلَّ » هذا الضياءُ الباهر
فإن غضبـَـكَ لا شك يُخبو ... يالـَـجـَـمـَـالِ القمرِ
في أفقِ هذه البيداء ...

عنتره : « وقد رفع إلى القمرِ بصره ، إن القمرَ لجـَـمـَـلٌ
في كل أفق ...

عظمم : إن له لسحراً لا يـَـمـَـدِّله سحر ، وهو يُـَـطـَـلُّ على
هذه المسحراءِ الرحية ذات البساطِ العـَـسـَـجـَـديّ ،
وقد نشر فيها الصمتُ لواءه ...

عنتره : ألا يفتـَـنـُـكَ قرُّ فارس ؟ ...

عظمم : إني بقر البيداء لأشمدُ كلفًا ... انظر إليه
ألا تراه يَرِفُ بابتسامة الوضّاحة ، ويرنو
بعيّنه الساحرتين ؟ ...

« يأخذ بيد عترة ويسايره »

يخيل إلى أن شَفَتَيْهِ الزاهيتين تترنّمان بأعذب
النَّخَمِ ! ...

« يعضبان في سيرهما مفادين المكان ... »

ألا تصافح أذنك وسنوسته ؟ ... يالروعة الألحان
ينشدّها هذا الملكُ البهيّ ...

« يبدو القى سيف وهو يسير المروني »

« في محاذرة متقنيا »

سيف : « ينشد » :

أفـتِ يا عبـلة أنـسـم	لفؤادى وهنـاء
حينـا ترضـين عني	يمـلأ القلب الرجاء
فإذا الدنـيا نعيمـ	وإذا الكون صفاء
وإذا بي في جور	وابتهـاج وازدهاء

الفصل الرابع

المنظر الأول

« الوقت : عشية ... أمام خباء عبلة...
 عبلة ودعجاء ونجماء جالسات ينزلن... على
 مقربة منهن هند وقد تملكها ضيق... يقين
 على حلفن فترة »

- هند : الغزل والصمت ... دائماً الغزل والصمت ا...
 دعجاء : وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ ...
 هند : أن نتحدثن ... أن نتجادلن ... أن نتنازعن ا...
 لاني لأفضل أن أراكن وقد تضاربتن وتماسكتن
 على أن أراكن تجلسن لا تنبسن ، وإن كنتن
 على صفاء ا...
 نجماء : أنكرهين أن يحلّ الوثام بين عبلة ودعجاء محلّ
 الخصام ؟ ...
 هند : وددت ألا يدوم هذا الوثام ...

- ١٦٢ -

عبلة : ألا يحق لنا أن نهدأ ونَقِرَّ بعد أن طالَ بنا عهد
الشَّـجَناء ؟ ...

هند : مضتْ عشرونَ يوماً وأنتُنَّ في خمول ... منذ
قديمِ عنترة لم يَنْشَبْ يديكما نزاع ... كان يقيني
أن سيِّدَ الفوارس سيَّودُ إلينا حاملاً معه بذرة
التنافس والشَّقاق ...

دعجاء : فكان أن عاد إلينا حاملاً بذرة السلام ، نأشراً بيننا
لواء الوثام ...

نجلاء : وحسناً فل ... إنه أعلنَ منذ قدومه أنه قد
نَفَسَ يديه من مُشَوْنِ الغرام ، فلم يَدُدْ للتنافس
بيننا سبيل ...

عبلة : وقد نفَضْنَا نحن منه أيدينا ، قبل أن يَشْفُضَ
يديه ...

نجلاء : ليس في هذا ما يَضِيرُنا أو يَضِيرُهُ ... إن عنترة
يُكِنُّ لنا أصفى مودة وأصدق إخاء ...
لقد أنحفنا بآخر الهدايا.. لأنه وإيهم الحقُّ لفارس

مَهْذِبُ النَفْسِ كَرِيمُ الْحِصَالِ ...

عَبْلَةٌ : وَمَا رَأَيْكَ فِي الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ؟ ...

نَجْلَاءُ : لَا يَقِلُّ عَنْ عِنْتَةِ صَفَاءِ سِرِيرَةٍ وَنَقَاءِ نَفْسٍ وَشَجَاعَةٍ
قَلْبٍ ...

عَبْلَةٌ : بَلْ يَفُوقُهُ ! ...

دَعِجَاءُ : أَلَا نَهْ خَطْبُكَ تَحَاوِلِينَ أَنْ تُفْسِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَزَايَا
فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ ؟ ...

عَبْلَةٌ : إِنْ الْأَمِيرِ عِمَارَةُ سَيِّدُ هَذِهِ الْبَادِيَةِ غَيْرِ مُتَنَازِعٍ ! ...

دَعِجَاءُ : مَا أَعْجَبُ أَنْ تَفَاضَلَ بَيْنَ عِنْتَةٍ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ! ...

عَبْلَةٌ : لَا تَهَادَى يَا دَعِجَاءُ فِي التَّسْمُحِ بِعِنْتَةٍ ، فَيُثِيرِي حَوْلَكَ
غُبَارَ الظُّنُونِ ...

دَعِجَاءُ : أَيَّ ظُنُونٍ أَثِيرُ غُبَارَهَا ؟ ...

عَبْلَةٌ : لَقَدْ دَفَنْتَ جَسَدَكَ فِي الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرْتَهُ لِعِنْتَةٍ ...

فَلَا تَنْسُئُ رُقَاتِ الْمَوْتِ ...

دَعِجَاءُ : وَجَسَدُكَ إِيَّاهُ ... مَاذَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ ؟ ... يَخِيلُ إِلَيَّ أَنَّهُ

مَا بَرِحَ يُهَضِّمُ نَارَهُ بَيْنَ جِوَانِحِكَ فَيَأْكُلُهَا ! ...

— ١٦٤ —

- نجم : أئمة مشاحنة تَبْدَأُهَا ؟ ...
- هند : « مبهجة ، دعهما ... دعهما ...
- عبلة : ليس ثمة من مشاحنة ... إنما هي معاينة أختين ...
- دعجم : أليس كذلك يا دعجم ؟ ...
- دعجم : الأمر كما تقولين يا عبلة ...
- عبلة : « لدعجم ، أريد أن أجعل لك بعض ما قد يغشيه عنك ... أنا لم أحبب عنترة ، ولكنه هو الذي أحببني ...
- دعجم : ربما كان قد أحببك ... أحببك في زمن مضى ...
- عبلة : لقد جلس لي معه حجر الزبرجد ...
- دعجم : تزعمين أنه ما قىء بك هيمان ؟ ...
- هند : ولم لا يكون كذلك ؟ ...
- عبلة : لقد تجشمت في الحصرل على حجر الزبرجد جسما المصاعب ...
- دعجم : « قصارى الأمر أنه وعدك بإحضاره لك ، وما كان له أن يُخلف الوعد ! ...

نجلاء : ألم نقُلْ إنه فارس مذهب النفس كريم الخصال ؟ ...

عبلة : يُحسِّن اختيار الهدايا لصواحيبه ...

دعجاء : ليس حجر الزبرجد بأثمن مما خصصنا به ...

عبلة : « لدعجاء ، ضاحكة ، أصبحت ... ولذلك قذفتُ به

في الحباء ، فلم أعره جانب اهتمام ... أما هديته لك :

تلك القلادة والقرط والحلّسُخال ، فإنك تتحلّين بها

على الدوام ... ما أشدّ اعتزازك بهديته ! ...

نجلاء : اعتزاز صديقة وفيّة لا ترضى لنفسها إنكار الجميل ...

عبلة : ولكن دعجاء تحسّر على أن تبدو في هذه الحليّ أمام

عنترة ، اجتذاباً لناظره ! ...

دعجاء : أنا التي تحاول اجتذاب ناظره ؟ ... ألا تُسرّين إلى

نفسك وقد اتخذتِ على جبينك هذه العصاة التي

لا تستبدلين بها غير ما ؟ ...

عبلة : إنها من سقط المتاع ...

دعجاء : بل إنها هديته إليك مُقبِل ارتحاله ... ولطالما كانت

حييةً إليه ، ولطالما كان حريصاً على أن تتمصّي بها

- ١٦٦ -

حين تَسْلَقَيْتَنِي ، فبكنت تَابِينَ اتخاذا تمسعا
ودللا ... أما اليوم يا عبلة ، فإنك ...

عبلة : « وقد نزعنا المصاصة عن رأسها ، ... أما اليوم
يادعجاء فإنني أنزل عنها لك ، إذا طمحت إليها
عينك ! ...

« تمد يدها بالمصاصة إلى دعجاء ، لعل لك فيها أربسا ...
إن عبلة لا تنسب هذه الأحاسيس الرخيصة
لصبيد القلوب ! ...

دعجاء : أنسكي عليك عصابتك ... إنني لا ألاحق الرجال
وهم عنى مُعترضون ...

عبلة : ماذا تريد من بقولك هذا يادعجاء ؟ ...
نجلاء : يا لله من هذه الماهرة ! ... هلا كَفَفْتُمَا عن
هذا النزاع ؟ ...

هند : وَدِدْتُ أَنْ يَفْجَأَنَا عُنْتَرَةُ الْآنَ لِيرَى وَيَسْمَعَ
ما يدور في شأنه ! ...

نجلاء : ألا قلندع حديث عُنْتَرَةَ ، ولنحسم هذا الشقاق ...

عبلة : « وقد تماالكت ، لا شِقاقَ ... إنما هو تحاُذُب
كلام ! ... أليس كذلك يا دججاء ؟ ... »

« تقول ذلك غير ناظرة إليها »
دججاء : الأمر كما تقولينَ يا عبلة ...

« تقول ذلك غير ناظرة إليها أيضا . . . »
نجلاء : يسعدني أن أراكا تتصافيان ...

دججاء : « وقد أخذت مغز لها وجلست جالستها الأولى وشرعت
تغزل » إن الصفاء يملأُ قلوبنا دائماً ...

عبلة : « وقد بدأت هي الأخرى تغزل » لم نكن في وقت ما
أصفيَ قلوباً مما نحن الآن ...

« نجلاء تقبل كذلك على مغز لها . . .
فكرة صحت لا حركة فيها إلا حركة الغزل ...
هند ترنو لاليهن »

هند : « مغنمة » ما أشقىَ الباديةَ بتلك المغازل . . .
آه ، لو كان في طوق أن أحطمها لما أبقيت
منها شيئاً ! ...

« الصمت ينتاج »

إن تلك المغازل تجلب لي دُواراً ...

« تصيح ، دراراً تضيق به على الأرض ! ...

نجلاء : « تقف مغز لها ، نقول لهند ، لقد أراحك الله من

مغزى ... لم يبق لدى من صوف أغزله ! ...

هند : أحمد الله على هذا ...

« لدعجاء ، وأنتِ ، أَلَمَّا يَنْتَه الصوف الذى

معك ؟ ...

دعجاء : « تقف مغز لها ، قارب أن ينتهى ...

« نهض نجلاء »

نجلاء : « لدعجاء ، ألا تصحح بيئتي لآتى بصوف

جديد ؟ ...

دعجاء : حباً وكرامة ...

نجلاء : « لعبلة ، ألا تمضين معنا ؟ ...

عبلة : « دوى على مغز لها عاكفة ، ما زال الصوف بين

يدى غير قليل ... ولكنى بكى لاحقة عما قريب ! ...

— ١٦٩ —

نجلاء : لا تبطلني عنا ...

عبلة : لن أبطئ ...

« تصرف دمعاء ونجلاء ، عبلة تسوى

المصابة على جبينهما كما كانت من قبل ... »

هند : « مبهمة ، لعبلة ، إنه يجوزُ بهذا المكان قبيلُ

الظهيرة كلَّ يوم ... !

عبلة : « متباهة ، أليس هذا طريقه إلى مَحْضَرِ خيامه ؟ ...

هند : إن الطريقَ شتى ...

عبلة : « مبهمة ، إنه يسسلك أيسرَ الطرق .. لا يريد أن

يسعى رَج على الطريق الصغيرة ، خَشية أن يقولَ الناس

إنه يتجنَّبُ هذا الطريقَ المسلوكَ ، فراراً من عبلة ...

هند : أو قد شرع يفكر حقاً في الفرار منك ؟ ...

« عبلة لا تجيب ... فترة صمت ... ثم تقول هند : »

ولكن أسائل نفسي : إذا تعرضين لعنترة بُغيةً

تصيده ، وأنتِ الأُميرُ معمارة مخطوبة ، وزواجك

منه وشيك ؟ ...

- عبلة : « متضا حكة ، بروق عبلة أن تانهو ...
- هند : أيهما تؤثرين ؛ عنقرة أم الأمير ؟ ...
- عبلة : أنا لا أؤثر أحداً ... كلاهما إلى يسعى ... 1
- هند : ومن منهما تزوجين ؟ ...
- عبلة : الأمير عمارة ...
- هند : أنت لا تسكينين له حياً ...
- عبلة : كثيراً ما زففت الفتاة إلى من لا يهفو فزادها إليه 1 ...
- هند : يا قلبك القاسى العنيد ... ما أحب لك أن تتلمهى بقلوب الرجال ... وما يستحق منك عنقرة هذا الجزاء 1 ...
- عبلة : ألم يله بنا ياهند ؟ .. أمارأيت كبرياءه وتعاليه علينا وهو يتشدق بأنباء فارس وأحاديث بلاد الروم ؟ ...
- ألم يعلن أنه أصبح سيد قلبه ، وأن غرامه الأول لم يكن إلا ضلالة صحا قلبه عنها ١٢ ...
- هند : وما أنت حانئة ؟ ...

— ١٧١ —

- عبله : لست بصانعة شيئاً ...
- هند : عجياً ...
- عبله : قلت لك إن عبلة يروقها أن تلهو ...
- هند : والفتى سيف ، ما خطبه ؟ ...
- عبله : ألم تريته ؟ ... إنه دائم الاختلاف إلى عنقثة ...
- هند : ينشد الأناشيد الرقاق ...
- عبله : أناشيدى التى يتغنى فيها عنقثة بحبي ويشيد بمفاتنى ...
- إلى أبين سيفاً قادماً . . . ليتك تحدثت بشئ
- طيب ! ... يقدم الفتى سيف : تعال يا سيف ...
- أحسنك بحضورك الآن صنعا ...
- سيف : مولائى ...
- عبله : هل من جديد ؟ ... قل لى : أيا نس عنقثة بأناشيدك
- أم ما فتىء صادفاً عنها ؟ ...
- سيف : إنه ليبتهرنى تارة ويغضى تارة أخرى ! ...
- عبله : لا أريد منك أن تلاحقه ...
- سيف : إلى الأحقه ، والكنى أتوخصى أويتمات صنفوه ...

عبلة : « لهند ، القمرُ يا هند في اكتمالِ تالقه ... وشدَّ ما
يحلو التنزه في فيضنه البهسي ... »

صيف : إنها لامسياتٌ رائعة تتأرجُ بأنفاسِ
الآزاهير ...

عبلة : « لسيف ، والبخور الذي أعطيتك إياه ؟ ... »
صيف : كلما وانتننى الفرصُ تسالتُ إلى خيمته في مُجنح
الليل ، فلاتُ المجامرُ بهذا البخور ...
عبلة : حسناً ...

« نخرج من مدرها مرة فتناوله
إيها »

صيف : شكراً مولاتي ... بقيتِ وبقيتِ عطايك ! ...
عبلة : والآن أنتِ وشائتك ...

« ينصرف سيف وهو ينحن تحية لها ... »
هند : وما سرُّ هذا البخور ؟ ...

عبلة : إنه خليطٌ من أعوادِ ذكيّة الرائحة لا يعلم
سرُّها سوى ... كنتُ أطلقُ هذا البخور حين

كان عنترَةُ يلقاني في الحباء ... فكان به شديدُ
الشَّغَفِ ! ...

هند : أنظنينَ أنه يأبه له اليوم ؟ ...

عبلة : اعلمي يا هندُ أن الأَطْيَابَ خصائصَ عجيبة ...
لأنها لتغلغلُ في شِعَابِ القلوب وتبلغ أعماقِ
السرائرِ ، فتبعث من مرآقدها غايرَ الذِّكْرِيَّاتِ ،
وتلهب ما خدَّ من كامنِ العواطف ... كل ذلك
في لطف وعذوبة ولين ... لأنها لتفعل فعل
السحر ... ذكَّرتني ... ألا تُحضرين لي آتية
الطبيب من الحباء ؟ ...

هند : أَرَأَيْتَ آتِيَّة ؟ ...

عبلة : الآتية النحاسية ...

هند : طيبك القديم الذي هجرته زمناً ... أراكِ تعودين
إليه ! ...

عبلة : إنه طيبُ عنترَةَ المفضلُ لديه ...

« تحضر هند آتية الطبيب فتأخذ عبلة في الطبيب به »

هند : « في دعاية ، ألا تدعيني أتطيب بطيبك
هذا ؟ ... »

عبلة : لن يتطيب بطيب عبلة أحد سواها ...
« يسع خفي أقدام ... تلفت هند »
هند : لأنه لقادم ... سادعك له ...

« تخفي هند ... يبدو منيرة ... يلمح
عبلة بواب خبثها ، فينداني إليها . . . »

عنبرة : نعم مساؤك يا عبلة ...
عبلة : نعم مساؤك يا عنبرة ...
عنبرة : حسن أن يكون خباؤك على طريق ، فأسعد باجتلاء
طلعتك ا ...
عبلة : أشكرك لك ا . . . وما حاجتك إلى اجتلاء
طلعتي ؟ ...

عنبرة : إن طلعتك لتفنع نفسي بالبهجة والإيناس ...
عبلة : إنك لتجيد في طاعة غيري من صبايا القليلة أو من
جواريك بنات فارس ما يهجمك ويؤنسك ا ...

- ١٧٥ -

عنزة : « مبتسما ، لِطَلْعَتِكَ يَا عِبلَةُ ضِيَاءُ لَا يَارِيهِ
ضِيَاءُ ! ...

عِبلَةُ : إِنْ عِبلَةُ تَحْفَظُ ضِيَاءَهَا لِمَنْ خَطَبَهَا ... الْأَمِيرُ
عُمَارَةُ ! ...

عنزة : « مبتسما ، ذَلِكَ فِي عِلْسِي ... وَلَكِنْ أَلَا يَشْمُ الْمَرْءُ
عِطْرَ الزَّهْرِ فِي بُسْتَانٍ جَارِهِ ؟ ... الْحُسَيْنُ
كَالْعِطْرِ ، كِلَاهُمَا مُبَاشِحٌ لِمَنْ يَشْمُ وَمَنْ يَطْلَعُ ... !
« يَسْتَنَشِقُ النَّسِيمَ حَوْلَ عِبلَةَ ، مَا أَذْكَى الطَّيِّبَ الَّذِي
يَنْفَحُ مِنْكَ ! ... إِنَّهُ عِطْرُكَ الْقَدِيمُ ...

عِبلَةُ : لَمْ أَسْتَبدِلْ بِهِ غَيْرَهُ ! ... هُوَ طِيبِي الْمَفْضَلُ ...
عنزة : وَهَذِهِ الدِّصَابَةُ ... مَا أَبْدَعَهَا ... لَمْ تَفْشَقْ بِهَاءَهَا ...
وَلَنْ تَفْشِقَ قَدَّهَا ! ...

عِبلَةُ : إِنَّهَا عَصَا بَنِي الْقِيَامِ الَّتِي أَتَّخِذُهَا كُلَّ يَوْمٍ ... يَرَوْنِي
لَوْ نَهَا ! ...

عنزة : إِنَّكَ لِحَفِيَّةٌ بِزِيْنَتِكَ ...

عِبلَةُ : شَاقِي دَائِمًا ...

- عنتره : المرأة لا تزيّن إلا للرجل ...
- عبلة : لى خاطب على أن أحترق بقلبه ...
- عنتره : وهل تخشّنين على قلبه أن يشترد إذا تمّ وطيق
بهذا السّياج ؟ ...
- عبلة : وهل يؤمن للرجال جانب ؟ ...
- عنتره : « مداعبا » وهل سبق أن شرّد منك قلب ؟ ...
- عبلة : إن قلباً تملكه عبلة لا يستطيع عنها فكّاكا ...
- عنتره : أنت بنفسك شديدة الزّهو ...
- عبلة : ألا ترانى بهذا الزّهو خليقة ؟ ...
- عنتره : أراك على الدّوام ساحرة ...
- عبلة : « ضاحكة » نحن إذن على وفاق ! ...
- عنتره : أهوين خاطبك ؟ ...
- عبلة : المخطوبة تهوى خاطبها ...
- عنتره : ما أيسر أن تهوى المخطوبة من خطبها ... ولكن
هل لهذا المصوى من دوام ؟ ...
- عبلة : الوفاء فى الحب من شيم النساء ... أما الرجال ...

عنبرة : حقاً إنَّ قلبَ الرجلِ "قلْبٌ" ... ولكن له في ذلك
عذره ، إنه يُسكِرُ قلبه في سبيلِ المجد ... أما
المرأة فوجدتها الذي تهدف إليه هو القلبُ تحت
راية الحب ...

عبلة : وما أشقانا بهذه القلوب ! ... بل ما أسعدنا بها ! ...
إننا نستمرى السعادة من سعيير هذا الشقاء ...
عنبرة : لكم تغيرت نظراتي في الحياة والحب ...
عبلة : الحبُّ الأصيلُ ليس بالثوب الذي يُخلع بين
آن وآن ! ...

عنبرة : أبيني ...
عبلة : إنه جذوةٌ دائمة التوقد ، لا تحبُّو إلّا ريثما
توهج ...

« تقبل عليه ، وترنو إليه . . . »

عنبرة : ما أجلَّ عينيك اليوم يا عبلة ...
عبلة : هما عيُنناى دائماً ... هما هما ...
عنبرة : وهذا الكحل ... ما أفتننه ! ...

عبلة : إنه كحلى الذى أنكحل به منذ نشأتى ...
 عنتره : عجباً لى ، كيف أبيع لنفسى التطلع إلى مفاتك
 مستمتعاً ، وأنت لغيرى ؟ ... إنه امتهانٌ للصدقة
 التى بينى وبين الأمير مُمارة ... على حين أننى أقدره
 وأكبره ! ...

عبلة : ألم تقل إن للبرء أن يشمَّ عطرَ الزهر فى بُسْبانٍ
 جاره ؟ ...

عنتره : ولكن المرء طموحٌ نزاعٌ ، قد لا يقنع بالشَّم ،
 فتتشره نفسه إلى القطف والامتلاك ... !

عبلة : لقد كانت الزهرة منك دانيةً المثال ، فتركت غيرك
 يسبقك إلى اقتطافها ... !

« يقبه عنتره بنظره فى الفضاء برهة ... »

فترة صمت »

عنتره : هى الأقدارُ يا عبلة ! أقرَّ لك بأن صفحتى هى الخاسرة !

عبلة : « فى سهوم ، وقد تكون الراجح ... لا تعجل
 بالحسكُم ! ... »

— ١٧٩ —

عنتره : إنه ليتعذّرُ على المرمِ أن يفرقَ أحياناً بين الفؤزِ

والإخفاق... ليس بهيّن أن تميزَهما بمعالمٍ واضحة ...

ما أراه إخفاقاً قد يعدّه سِوَايَ فوزاً مميّناً ...

عبلة : سَلْ قلبك يُنبئُك بالخبرِ اليقين ! ...

عنتره : وعقلي ... ألا أسمة تفتيه ؟ ...

« يبدو عظمم على الربوة »

عظمم : مولاي عنتره ...

عنتره : ما باللك ؟ ...

عظمم : شيوخُ القبيلة ينتظرون لقاءك ...

عنتره : أنه إليهم أني قادمُ الساعة ...

عظمم : السمعُ والطاعة ...

« ينصرف »

عبلة : « لعنتره ، إنهم ينتظرونك للتشاورُ في أمرِ بني

فَهْد ... لقد اشتدّت بهم الرغبة في قتالِ تلك القبيلةِ

الشَّعْثُوب ...

عنتره : ولمَ لم يقاتلوا في مَغْيبِي ؟ ...

عبلة : هم يعلمون أن أمر بني فهد لا يُحسن الفصل فيه
إلا عنثرة ... في مقدورك وحدك أن تفضد
شوكتهم وتردّ جماهم ...
عنثرة : ألم يعزّ لهم أن يستصبروا بالأمير عمارة ١٩ ...
ألبس هو أشجع أهل البادية ؟ ...

• أصبحت مبلّة قلباً ... ومى إليه

رائية مفصصة

عبلة : الأمير عمارة وإن كان أشجع أهل البادية ممّعت
غريباً عن قبيلتنا ، فما يحملُ بأبي أن يستنصر به
على عدوّه ! ...

عنثرة : ولكن أبك لا يستنكف أن يزوجه ابنته ...
لم يبد الأمير عمارة غريباً ، وقد صار للقبيلة
صهراً ١٩ ...

عبلة : ألا تائف أن يُزعّم الأمير عمارة على رجال القبيلة
دونك ؟ ...

عنثرة : لا آتف كرامة لك وإعزازاً له ... إن الأمير

خارس صنديد ، وسأمدّه بالمشورة ، وأكون له
طياراً ، ما استطدتُ إلى ذلك سبيلاً ...

عبلة : أخشى عليك يا عنزة أن يستلبك الأمير
معمارة زعامة الجيش ، بعد أن سلبك إمارة
القلب ا ...

عنزة : أو قادرٌ هو حقّاً على أن يستلب الإمارات
استلاباً ؟ ... إنى لأراه يناها منسحاً لاغلاباً ا ...

عبلة : ما تعدّه أنت منحة يعدّه هو حقاً يستطع أن يملكه
بدهائه تارة وبسطوته تارة أخرى ...

« بعد هنيئة » ألا تراك قد أبطأت عن مجلس
القييلة ؟ ...

عنزة : لم أقض وقتي معك عبثاً يا عبلة ... طاب ليلاك ا ...
عبلة : طاب ليلاك ا ...

« يأخذ يديها ويقف قبالتها لحظة يتوسمها
وتتوسمها ... تتركها بفتة ، وينصرف حيث
المحلا »

المنظر الثاني

« الوقت مساء . . . داخل خيمة عنبرة
الأنفة . . . الترف الفارسي يتجلى في أروع
مظاهره . . . عنبرة وعطه طام على وثير
الوسائد . . . بين يديهما «ائدة الشراب»

عظمم : وغزوة بني فهد ؟ ...

عنبرة : فرغتنا من أمرها ، وأجمعتنا الرأي فيها ...
تقاسمنا أسلابها ...

عظمم : عجبت لكم تقاسمون الأسلاب ، وأتم في دياركم
قابضون ! ...

عنبرة : أويخالجك الرئب في غلبسة عنبرة على تلك
الشراذم ؟ ...

عظمم : لا يخالجنى أى رئب ، ولكن لا تنس يا مولاي أنه
قد أصبح لتلك الشراذم شأن يُعَدُّ ... إنها لتبسُط
سلطانها على قبائل الجنوب ، وقد تفرّدت بشجاعة
نادرة ، فها بها الناس وخشوا ما لها من بطش ...

عنتره : لم يكن لهذه القبيلة ذكرٌ قبل رحيل إلى فارس...
 إن صغار الثعالب لتسطل من أجحارها وترفع من
 هاماتها إذا آنست غية الأسد... ولكني سأشعرهم
 أن الأسد قد عاد إلى عرينه... وسترى كيف يكون
 مصيرهم على يدي...!

عظم : دوهو يجرع كأسه ، ستنتظرون الحية والمزينة حتما...
 عنتره : إني لأسأل نفسي كيف استنام أشياخ القبيلة لتلك
 الشراذم ، حتى تفاقم أمرها ، واستفحل شرها...
 عظم : ماذا ترجو من زمرة كسالى لا يجمعهم رأي ،
 ولا يلم شتاتهم ساعد مكيين ؟...

عنتره : وأين الأمير عمارة الكندي ؟...
 عظم : إنه رجل أميل إلى السلم ، يريد أن يحيا حياة دعة
 وطمأنينة يستمرىء الرفاهية في ظل ثروته الطائلة...
 عنتره : دوهو يضحك ملء فيه ، أو تزعم بالسان السوء أن
 الأمير عمارة يسر لحرب ولا لقتال ؟...
 عظم : من كانت له ثروة الأمير خشي عليها ويلات

-- ١٨٤ --

الحروب ... يقولون إنه رجلٌ داهيةٌ ... بكياسته
وحيلته يكسبُ المعارك دون أن يشنَّ غارةً
أو يفقد رجلاً ...

عنتره : « وهو يضحك والكأس إلى فمه ، أكرم به من أمير
داهيةٍ ! ...

عظمم : ولكن كان خليفته به أن يتقدم إلى القبيلة في هذا
الوقت ، ليشدَّ أزرها فيما هي سُبلته عليه من
غزو بني فهد ...

عنتره : لا أرضى أن يشدَّ أزري أحد ، وبذلك صارتُ
الجميع ...

« يجرع عنتره من كأسه ... يصبو برهة »

لندع أميرنا عمارة يتقلب في أعطاف نعيمه ...

عظمم : حسناً نصنع ، فإنه يزفاه مشمول ...

عنتره : ماذا يفعل ؟ ...

عظمم : يبدؤ العدة لأعظم عُرس شهدته البادية ! ...

سنة حضر ذلك العُرس بلا ريب ...

عنتره : حبيبى إلى أن أشهد عرس الأمير ، ولكن لست
أدرى أمستطيع أنا ذلك مع انهم ما كى فى أمر
الغزو ؟ ...

عظمم : ألا تؤجّل هذه الغزوة إلى ما بعد حفل الزفاف ؟ ...

عنتره : ولم لا يؤجّل الأمير حفل زفافه إلى ما بعد الغزوة ؟

عظمم : سيان هذا وذاك ... تتفق على أى الأمرين ...

عنتره : سأعدين لغزوتى اليوم الذى أراه ملائماً لى ...

عظمم : ألا تستطيع أن توفّق بين الأمرين لا كراما لبعلة ؟ ...

عنتره : « وقد صبّ الكأس فى فمه ، يصيح ، أنظن أنى

أعبث بمهمتى العليا من أجل غاة من غيد الخي ؟ ...

ما أجملك بشئون الحرب يا عظمم ! ... إن للحرب

لمطالب لازم على أن أضطلع بها لا ألوى على شئ ما .

عظمم : « مغنما ، الحرب ... الحرب ... لن نستريح منها

أبدَ الدبر ...

عنتره : تريدنى كالأمير عمارة أركن إلى الدعة ، مستمرناً

حياة الرفاهية ...

عظم : عفواً مولاي ... ولكن على المحارب أن يهادن نفسه

بين حين وحين ، للاستجمام والتشريف ...

عنتره : لقد طالت بنا المهادنة يا عظمم في ركود هذه

الييصاد ...

عظمم : ما كدنا نتذوق طعم الراحة حتى مُسِنينا بخير

بنى فهد ... ألا سُحقاً لفهد وأبناء فهد ...

عظمم : لن يطمئنين لك جنبٌ هادمت في صُحبتى ...

لتعلم أنى برمتُ بحياة الييصاد وأهل الييصاد ... لقد

أزمتُ عنها رجلاً ... نَشُدُّ الرِّحالَ إلى

فارس عما قليل ...

عظمم : ألم تضربُ لذلك وعداً ؟ ...

عنتره : حين فنقضُ أيدينا من أمر بنى فهد ... فنحُدُّ

أهبتك لذلك يا راويتى العظيم ...

عظمم : دعنا الليلة من حديث فارس وشؤون الحرب ...

ولنستمع بمجلسنا هذا بين الكأس والطَّاس ...

» يقبلان على الشراب ... بعد لحظة يدخل

سيف ، متسلا في حذر وفي يده بحرة ،
 فيضعها في زاوية من الخيمة ويلقي فيها بعض
 الأعواد ، فيسعلم الجحور ... وينصرف سيف
 عجلا دون أن يشعر به عترة وعظم . »

ألا ربك أرخف سمعك لهذا السكون الشامل
 وارتشف أفواقه ، ثم ارم بطرفك في الفضاء
 الرّحّب يكسوه القمر بلالاته البهيج ... أحرام
 أن نفحص لحظة هذه المنة ؟ ...

عترة : « وهو يستنشق البخور ، ما هذه الشاعرية الفياضة
 يا عظم ؟ ... قل لي : أتعجب حقاً هذه البيداء ؟ ...
 عظم : أشعر في هذه اللحظة بأنّي أعبدها ! ...

« يب من كأسه »

عترة : « وهو يطيل استنشاق البخور منتشياً ، وقد جلس
 جلسة استرخاء ، وجعل يشرب ، صفتها لي يا صنيعة
 العرب ! ...

عظم : البيداء يا مولاي فردّوس الكسالى ! ...

- عنقرة : « متضاحكا ، ما أبدعَ ماقلت أيها الحكيم المحبوس ...
ولهذا تريدني على أن أقضى في البدياء أيامي كسلانٍ
قاعدا ... ما أطيب هذا البُخور ! ... منذ أيام أرى
المجامر تتوهج بهذه الأعواد الذكيّة ...
عظمم : بخور طيب أصيل ... إن أرديل يُحسنُ تأليف
الأعواد العسّطرة ...
عنقرة : « وهو يخلد إلى الراحة فافر الجلسة ، ليس هذا من
صنع أرديل ... لا يحسن تأليف هذا البُخور
إلا عربيٌّ من أعرق أهل البادية ! ...
عظمم : لعله ابن حبناء ...
عنقرة : لعله ... « وهو يتمطى ، إن هذا البُخور ليكمل
في تضاعفه صورا محبّبة ... ذكريات عزيزة ...
لأنه يُسلّيني إلى نشوة لذيذة ! ...
عظمم : ألا أدعو لك بجواربك الفارسيّات ، تقضى معهن
وقت منادمة وصفو وموانسة ؟ ...
عنقرة : أفضل ما بدا لك ...

« لا يكاد ينهن عظمى حتى يردف »

عنزة

لا حاجة لى بحرارى فارس ... يا لله من رائحة هذا
البخورا... « ينمض عينيه، يكاد النعاس يملك عينيه...
إنه كالضباب الرقيق أحسسه يغشائى بغلاظه ... إلى
لاستين فى غضون هذا الضباب أطيافاً لطافاً تنهذى،
يستطير منها عطر الصحراء ...

عظمى : لمن تكون هذه الأطياف ؟ ...

عنزة : « وهو مسبل الجفنين ، عذارى البدو الملاح ...

عظمى : أكرم بن حسناً فانتات ! ...

عنزة : لتصفن لى هاتيك العذارى يا عظمى ! ...

عظمى : لقد سبقتنى إلى وصفن عليم ... عذارى البادية ...

كطباها ! ...

عنزة : هذا حق ...

عظمى : ألا أسميك فى ذلك قول شاعر ؟ ...

عنزة : أنشدنى ربك ما قاله شاعرك ...

عظمم : أَشْبَهْتِ هَذَا الظَّيَّ حَسَنَ مَلَاةِ
 حتى تَحْيُرَ كُلَّ وَصْفٍ فِيكَ
 لَكَ جِدُّهُ وَلِحَاظُهُ وَنِفَارُهُ
 وغداً تَكُونُ قُرُونُهُ لَا يَكُ
 عنتره : وَ يَذْبَحُهُ مِنْ غَفْوَتِهِ ، وَيَضْجُ بِالضَّحْكَ ، مَا أَظْفَرُ
 مَا أَشَدَّتْ يَاسَانَ السُّوءِ ! ... إِلَيْهِ يَا عَظْمَمُ ...
 عظمم : مَاذَا أَنْشِدُكَ ؟ ... إِنَّ مَحْفُوظِي مِنْ شَعْرِ
 غَيْرِكَ لَقَلِيلٌ ! ...
 عنتره : إِذَنْ فَأَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِي ! ...
 عظمم : مَاذَا تَخْتَارُ أَنْ أَنْشِدَكَ ؟ ... أَمِنْ شَعْرِكَ فِي
 الْمَفَاخِرَةِ وَالْمَنَافِرَةِ ؟ ...
 عنتره : مُقِلَّتْ ، مَا أَغْيَاكَ ! ...
 عظمم : أَلْأَنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِكَ الْحَاسِي مَا قَلَّتْ فِي وَصْفٍ مَوْعَةٍ
 أَرْجَانِ ؟ ... أَلَا تَذْكُرُ قَوْلَكَ :
 فَوَيْلَ لِكُسْرِي إِنْ حَمَلْتُ بِأَرْضِهِ
 وَوَيْلَ لِحَيْشِ الْفَرَسِ حِينَ أُعْجِجُ

عنتره : أبعد عنا جمعجتك ، لا أبعد الله غيرك ا
عظمم : سَأَسْمِعُكَ إِذْنِ خَرِيدَتِكَ الرَّائِعَةِ الَّتِي فِيهَا تَقُولُ :
أَحْنُ إِلَى ضَرْبِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

و

عنتره : «مقاطعاً» قسا لئن لم تلتته عن ذلك الهذَرُ لَا ذِيْقَتِكَ
ضَرْبَ تِلْكَ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ ... أَنَشِدْ غَزَلاً ...
غَزَلاً أَيُّهَا الْآخِيقُ ا ...

عظمم : أَنْتَ يَا مَوْلَايَ حَرَمْتَ عَلَيَّ إِشَادَ الْغَزَلِ فِي حَضْرَتِكَ ا ...

عنتره : « من راحياً في جلسته » سَأَنَشِدُكَ أَنَا يَا عَظْمَمُ ا
عظمم : أَنَشِدْنِي غَزَلاً يَا مَوْلَايَ ؟ ...

عنتره : غَزَلاً فِي ظَبَاءِ الْبَادِيَةِ ... أُرِ عَنِي سَمْعَكَ ...

عظمم : أَجِدِيدُ مَا تَقُولُ يَا مَوْلَايَ ؟ ...

عنتره : إِنْ الْمَعَانِي لَتَحْوُمُ فِي خَيَالِي كَالطَّيْرِ الْهَامِمَةِ ، وَإِنِّي

لَسَلِمَهَا إِلَيْكَ السَّاعَةَ مَصْنَعَةً طَيِّبَةً ... ا

عظمم : قُلْ لَا تُضِضْ فَوْكَ ، فَإِنِّي إِلَى جَدِيدِ شَعْرِكَ شَيْقُ ،

وإن عهدي به لبعيد ...

— ١٩٢ —

عنتره : « ينشد في تمهل المرتجل ، :

من نعمة الأعطاف مهنمة الحما

منعمة الأطراف مائة القدا

عظمم : « منتشيا ، يردد ، مائة القدا ...

عنتره : « متابعا ، يبيت قنات المسك تحت لثامها

فيزداد من أنفاسها أرج الندة ...

عظمم : « يردد ، أرج الندة ...

عنتره : « متابعا ، ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها

فيغشاه ليل من دجلى شعرها الجعد

وبين ثناياها إذا ما تبسمت

مدير مدام يمزج الراح بالشهد

عظمم : « يردد ، يمزج الراح بالشهد ...

عنتره : « أنزع كأسى يا عظمم ...

عظمم : « وهو يقدم له الكأس ، بشفك زدنى يامولاي ...

« عنتره وعظمم يشربان ... ينشئ الصمت

جلسهما برهة ... يترآحيان في جلستهما ،

يسمع انتهى سيف وهو ينشد : ... »

— ١٩٣ —

سيف : « فى الخارج ، ينشد » :

أنا لا يهدأ شوقى فى بعاد أو لقاء
طيفك المحبوب شغلى فى صباح أو مساء
أنت يا عبلة أنس لفؤادى وهناء

عنتره : « يرفع رأسه مصغيا » لمن الصوت ؟ ...

عظمطم : الفتى سيف ...

عنتره : « مخمغا » ماقىء يترنم بشعرى ، وقد نهيته عن
إنشاده ١ ...

عظمطم : إن شعرك لم يعد ملكاً لك ... إنه حق مباح لكل
راغب فيه ...

عنتره : ماذا تقول ؟ ...

عظمطم : أمستطيع أنت أن تمنع الناس الاستمتاع بنور
الشمس ؟ ...

« يتضحك عنتره مضطحة عيناه ... بماود

الفتى سيف غناء »

سيف : « فى الخارج ، طيفك المحبوب شغلى

فى صباح أو مساء

حينما تَرْضَيْنَ عني يسلاً القلبَ الرجاءِ
فإذا الكونُ نعيمٌ وإذا الدنيا صفاءِ

عنبرة : عظمم ! ...

عظمم : مولاي ! ...

عنبرة : إن لهذا الفتي صوتاً حَسُوناً ...

عظمم : « وهو يكرع من كأسه ، كأنه هديلُ الحمام ، إذا
هاجّه الشَّقُّوقُ والهُيام ...

عنبرة : أنْزِعْ كأسِي ... أنْزِعْ ! ...

« يعلّ عظمم لعنبرة كأسه ، يشرب

عنبرة ثم يستلقي على حشية »

سيف : « يعني في الخارج ، منك يا عبلة عزمي فابْعَثِي في المضاءِ

وصيليني في دُنُوِّي إن في الوصل شفاءِ

واذكريني في بعادي إن في الذكرى وفاةِ

الفصل الخامس

المنظر الأول

« الوقت أسيل ... أمام خيمة عنزة ... »

عنزة واقف يشهد سيفه ... هند تادمة ... »

عنزة : « وقد لمح هنداً ، من أين يا هند ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : « فيم سؤالك ؟ ... »

عنزة : « وهو مقبل على سيفه يشحنه ، قليل من فضول ... »

هند : « سؤال الفضولي لا جواب له عندي ... »

عنزة : « وقد رفع رأسه مبتسماً ، فإن كان سؤال صديق ؟ ... »

هند : « لهذا حكم آخر ، ولكن لا أستطيع الكلام ... »

عنزة : « وهو يداعب خدها يده ، إذن أنت في طريقك إلى »

زيارة عاطفية ، تقتضي حيلة ومسامرة ... »

هند : « ربما كان حقاً ما تقول ... أعنيور أنت ؟ ... »

عنزة : « لهذا سألت ... أجيبي ... من أين ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : « لن أحيّر جواباً ... »

« تهم بتابعة سيرها . . . »

عنتره : « وهو يعترض طريقها ، الامر جدّ إذن ... هناك

حبيب ! ...

هند : دعني ...

عنتره : لن أدعك قبل أن تفضي إلى بئرِك ! ...

هند : خلّ سبيلى ...

عنتره : لن تفلّتي من يدي ! ...

هند : ثم ماذا يا عنتره ؟ ...

عنتره : لا تعزّيقى نفساً بي ...

هند : « وقد عقدت يديها على صدرها وصمتت برهة » قلت

لك ثم ماذا يا عنتره ؟ ...

عنتره : لا سرّ بين عنتره وصغيرته هند ! ...

هند : إن إفشائى لهذا السرّ يثير غضبَ علة ...

عنتره : « وقد حدّق فيها بهتاً » ما شأن علة بهذا ؟ ...

هند : إنه ليس بسرّ ! ...

عنتره : « وقد أمسك يدها بفتة » ماذا تعنّين ؟ ... أهناك

رجلٌ ينتظر قدومَ عيلةٍ؟ ...

هند : أطلقْ يدي ...

عنترة : « وقد شد على يدها ، أراكِ لا تَجيبين ! ...

هند : قلت لك أطلقْ يدي ...

عنترة : « وقد تطاير من عينيه الشرر ، يا هند ... أنتِ على

شفا هوةٍ تَبْشِثين ... صارِحيني ... ما وراءك ؟ ...

هند : ماذا بينك وبين عيلة حتى يبلغ بكَ الإِهْتِياجُ هذا

المبلغ ؟ ...

عنترة : « وقد تمالك ، إن هو إلا عِرض من أعراض القبيلة

على أن أذودَ عنه ... أن أحْيِه ! ...

هند : أفكانت نفسكُ تَهْتاجُ هذا الإِهْتِياجَ لو كان

المِرض عِرضَ هند أو عِرضَ دُعْجاء ١٩ ...

عنترة : « وهو يحاول كظم غيظه ، نعم ، الأعراضُ عندي

سواء ...

هند : طب نفساً يا عنترة ... ليس في الأمر حِيب ! ... هي

حفلةٌ تُزْمَعُ عيلةٌ أن تقيمها الليلة ...

- ١٩٨ -

- عنبرة : أية حفلة تعنين ؟ ... ولم الخفاء إذن ؟ ...
- هند : أرادت عبلة أن تقصير حفلتها على الصبايا من صويحباتها ... حفلة للصبايا وحدثهن ...
- عنبرة : « وقد أشرق وجهه ، للصبايا وحدثهن » ؟ ...
- هند : لن يشهدا من الرجال أحد ... أفهمت الآن لم الحسيطة والتخفي ؟
- عنبرة : ولكن لماذا أقصرت عبلة على صويحباتها للعداوى هذه الحفلة ؟ ...
- هند : لكي تهين لنفسها وصويحباتها مجلس متعة وإيناس ، يلهين ويمرّحن ، ويرقصن ويغنين ، لا يحتشمن من أحد ، ولا يابهن لأحد ، ولا يخشين عيون الرقباء من الرجال ...
- عنبرة : « وقد بدأ من عينيه وميض وهّاج ، وأين تكون هذه الحفلة ؟ ...
- هند : الحق أنك قد تجاوزت الحد ...
- « تنظر إليه ملياً »

- عنتره : إنه مجرد سؤال لست أبغى من ورائه شيئاً... لن أعكر
عليك صفوة حفلتك... أين تكون الحفلة؟...
- هند : « هامة ، على غدير ذات الإصا... »
- عنتره : ما أطيّسه مكاناً ... « بعد لحظات قصيرة ، وإذا
وقع ما ليس في حسابنا ، وهبط عليك رجل ،
فإذا أنتن فاعلات ؟ ... »
- هند : نظارده في عنف وشدة حتى نغلي المكان منه ...
- عنتره : وإذا كان هذا الضيف من الأصدقاء الخللص ؟ ...
- هند : « تحديق فيه وقنا وتبسم ، ثم تقبل عليه مداعبة ،
قسماً إنك لتحدّثك نفسك بالقدم ... ! »
- عنتره : أو تظنّين ذلك ؟ ...
- هند : « ضاحكة ، بل أوكّده ... »
- عنتره : ما أنت صانعة إذن ؟ ...
- هند : « بعد فترة صمت ، أنت لي صديق ، ولك عندي
مكانة... فإذا أصررت ... »
- عنتره : « ميتسما ، لست مصرّاً كل الإصرار ... »

— ٢٠٠ —

هند : لابد من تدبير حيلة ... « تفكر هنية » ... حسناً ! ...

« تقبل عليه وأسر إليه أمراً ، ثم تقول في

صوت مسرع »

ماذا ترى في ذلك ؟ ...

عنزة : ما ألمع ذكاءك ! ... هذه بُعِيَّتِي ! ...

هند : ستري كل شيء ، ولن يراك أحد ...

عنزة : بورك فيك يا هند ...

هند : إله سر بيننا ... بيني وبينك أنت وحدك ... فكن

على حذر ، حتى لا يفتضح الأمر ...

عنزة : اطمئني يا صديقتي الوفيّة ... اطمئني ... سأهدي

إليك صندوقاً مرصعاً بلؤلؤ البَحْرِين ...

هند : فقط ! ؟ ...

عنزة : ماذا تبغين غير هذا ؟ ... أجيبي ! ...

هند : لن يهدأ بالي حتى . . . حتى أنستهب كنوزك ،

وآتي عليه ، أيها الساحر الهندي ! ...

« يتضح أن »

المنظر الثاني

« غدير ذات الإصا د الوقت مساء ...
اليوم نفسه . . القمر يغير البقعة بضائه
النفى . تقبل أم هرم وحازم وبعض التابعات
يلقون ببعض المشايا ويضعون قدور
الطعام »

أم هرم : « لحازم ، قلت لك لا تحضر ، فلم تسمع لقولي ...
إن الرجال لا يؤذن لهم أن يشهدوا هذه الحفلة ...

حازم : عجيبٌ أمرُك ... وهذه القدور ، أينسكن من تستطيع
حملها ؟ ...

أم هرم : نشكر لك على أيتري حال ، ولكن يجب أن ترجع
أدراجك ...

حازم : سأفعل . . . يرتب بعض الأشياء ، وماذا تقصد
عبلة بكل هذا ؟ ...

أم هرم : إنها حفلةٌ صغيرة تريد أن تقيمها ليُصَوِّبَ نَجَبَاتِهَا

- ٢٠٢ -

احتفاءً بِمَخِطَبَتِهَا لِلْأَمِير ...

حازم : ومتى يحين يرم الزواج ؟ ...

أم هرم : لم يُبْتَ في شأنه بعد ... ولكنه وشيك ...

«تسمع أصوات ، لقد حضرن ... اذهب ... اختف ...

« تدفعه فيخرج ، تسللاً ... بعد لحظة تدخل

عبلة وهند ودهجاء ونجلاء وبعض فتيات

الحجى مرحانة يتصاحكن يصجبن الفتى سيف »

عبلة : « للجمع ، شكراً لكن » يا حديقاتي ... أرجو أن

أحقق لكن في هذا الاجتماع الصخير لطائف

المتسع ... إنها حفلاتنا ... حفلة الصبايا الطلّروبات ...

نريد أن نحيا لحظات هادئات منعّعات ، لا تروّعنا

أنظار الرجال العطشى ... أطلقن أنفسكن على

سجيتها ... لا تشعّسين شيئاً ... لن يقرب المكان رجل ...

ما أحسن أن تلتقي الفتيات بعيداً عن الرجال ! ...

« سيف يسمل ويشعر المخاضرات بوجوده »

تتجه إليه الديون

نجلاء : « وهى ناظرة إلى سيف ، يا لكعجب ... كيف

— ٢٠٣ —

لم تتسهن لوجوده ا... كيف تركب هذا الخطأ ؟
 ألم اشترط ألا يحضر بجاسنا إلا النساء ؟ ...

هند : ليس ثمة من خطأ ...

دعجاء : إنه ... إنه بعيدٌ عن جنس الرجال ا...

هند : « واقفة في خيلاء أمام سيف ، وقد وضعت يديها في
 خصرها ، أتقبل أن تكون من جنس النساء ؟ ... »

سيف : « ينقل بصره هنية بين الفتيات وبين قدور الطعام ،
 ثم يحك رأسه بأصبعه ، حقاً ... لا أدري ا... »

عيلة : اطمن ... لست برجل ا...

دعجاء : وليس فتاة ...

سيف : ياللسكبة ا... إذن ماذا أكون ؟ ...

هند : أنت فتاة ستقلب شاباً بعد حوّل ...

سيف : آه ... لا ... لا ... لست فتاة ا...

نجلاء : أترفض أن تكون فتاة ؟ ...

سيف : كلا ، إنما الواقع هو ...

« يتم حديثه مع نجلاء ودعجاء بصوته

خافت ... عيلة تلحى بهند جانباً . . . »

- عبلة : د لهند ، منفردة بها ، أيجضر ؟ ...
- هند : نعم ، سيجضر ا ...
- عبلة : لم تذكرى له أنى ءالتهُ بحضوره ...
- هند : أتحسين هنداً من البلاءة بحيث تقعُ في مثل هذا ؟ ...
- عبلة : وأين يكون مخبؤهُ ؟ ...
- هند : د تشير بيدها في الخفاء ، خلفَ هذه الظُّلة ...
- عبلة : أيجكون قد أوهمك بأنه سيجضر ، ولن يفعل ؟ ...
- هند : سيأتى حتماً ... وستريَن ... آه لو أبصرت به وقد أنفدت عيناه بلهسب الغسيرة ، حين ظن أنك على موعد مع رجل ...
- عبلة : أنتِ واهمة ...
- دعجاء : فيم نتساران ؟ ...
- عبلة : كنا نتحدث في مشكلة سيف ...
- نجلاء : لقد أقرّ بأنه فتاة ، وانتهى الأمر ...
- هند : د لسيف ، أُرِجى إليك تهنتى الخالصة يا صديقتى الحبيبة ا ...

- ٢٠٥ -

- سيف : كيف هذا ... كيف ؟ ...
- نجلاء : دوهي تشير إلى القدور ، لا يس ماني هذه القدور
إلا الإناث ...
- سيف : فلا كن مؤنثاً ... على بركة الله ... هائوا الطعام .
- « يذهب بنفسه ويرفع أغذية القدور
ويتأمل ما حوت »
- ما أشهى هذا الثريد ا ... وهذا المجمع ما أطيبه ا ...
وهذا القديد ما أعظمه ا ... يا لله ا ... أجستن أيضاً
بفالودج ا ... « يتلظظ طويلا ، ويمتص لعابه ، طعام
الملوك ا ...
- نجلاء : أتحب الفالودج يا سيف ؟ ...
- سيف : أموت فداءه ا ...
- هند : إنه طعام عنتره المفضل ...
- دعجا : وطعامك المفضل أيضاً ا ...
- عبلة : « لدعجا ، وكيف تجدينه أنت ؟ ...
- دعجا : لون غير سائح ... لا ميزة له ...

— ٢٠٦ —

عبلة : إني على رأيك ... نحن أهل البادية لا تشتهي هذه
الألوان الدخيلة علينا ...

سيف : لونٌ سائغ أو غير سائغ ، ألا تبعدُ أن الطعام ؟

هند : الطعام بعد الغناء والرقص ...

سيف : كيف ؟ ... هذا نعمت ...

نجلاء : لا حيلة لك يا سيف ... الغناء والرقصُ أولاً ! ...

عبلة : هيّا ... فلنبداً ... غنّ لنا شيئاً يا سيف ...

« سيف يتوسط الحاقة وبدأ يني ... »

« هند تتأمل تاركة المكان »

سيف : « ينشد » أتاني طيفُ عبلة في المنام

عبلة : « تقاطع سيفاً ، صمتاً ... صمتاً ... لا أريدُ هذه

الأنشودة ! ...

سيف : كيف يا سيدتي ؟ ...

« ينظر إلى الجمع مستظلاً رأيهن . . . »

نجلاء : ولم يا عبلة ؟ ...

عبلة : ذكُرات أدركها البسلي ، ولا أرغب في قبشِ

رُفاتِ الموتى ! ...

دعجاء : أنخسَيْنِ على نفسك من هذا الرُّفَات ؟ ...

عبلة : لا أخشى شيئاً على ... بل أخشى على غيرى ...

دعجاء : كيف ؟ ...

عبلة : قد يشير في بعض القلوب رواقد الأشجان ! ...

دعجاء : « تتضحك في انفمال وتصايح ، حقاً إنه يشير أشجاناً

وأشجاناً ... ها ... ها ... غيَّ يا سيفُ عن ...

« سيف يهود الفناء »

أتانى طيف عبلة في المنام فقبَّلنى ثلاثاً في اللِّسَام

وودَّعنى فأودَّعنى طيفياً أسَّره ويُسَّهل في عظامى

« تعود هند »

هند : « لعبلة ، جانباً ، لقد حضر ...

« عبلة تهرق عيناها ، وتأخذ في إظهار

مفاتها ، وتبسط شعرها ، وتخلع بعض

ملابسها فتبدو ذراعها عاريين . . . »

عبلة : « مهمة ، إن حرَّ الليلة لا يطاق ! ...

« تنئى وتتأبد في مشيتها وتشير إشارات

فيها دل وتيه ، وتمسك بهند وتبدأ الرقص
فتعزجو حذوها الفتيات ... بعضهن يرقص
وبعضهن يصفق ... دمعاء وتجلأ في
الصفقات «

سيف : « منشداً » :

أذل لبعلة من فرط وجدي
وأجعلها من الدنيا اهتامي
وأمثلُ الأوامر والنواهي
وقد ملك الموى مني زمامي
أيا ابنة مالك كيف التَّسَلَّى
وعهدُ هواك من عهد القطام
لعمرك أياك لا أساو هواها
ولو طحنت عجبها عظامي

هند : « تتظاهر بالذعر » صديقاتي ... صوئحيباتي ...

« الفتيات ينظرن إليها متطلعات ... هند

تشير إلى الغلظة «

أرى شيئاً يتحرك ... هناك ...

« تتجم الفتيات ، وينظرن إلى الظلة

متخوذات »

- سيف : « وهو يرتعد ، إن الظلّة هي التي تتحرك ! ...
 عبلة : أنزعم أنها تتحرك من مكانها ؟ ...
 نجلاء : شيء يتحرك فيها ...
 سيف : أياكون ثعبانا كبيرا ؟ ... أسمع فحجيجا ! ...
 هند : أي فحجيج ؟ ... إلى لالمح خلف القصب عنيّين
 متقدّنين كالجحر ! ...
 دجاء : لعله أسد ...

« الفتيات يتجمن ، ويتصايحن فرما . . . »

- عبلة : الزمن الصمت ... إن الصياح يهيج الأسود ! ...
 « الجمع يصمت وهو يحرق ناحية الظلة »
 نجلاء : « في همس ، ألا يتقدم أحد ليجلو لنا الأمر ؟ ...
 هند : « لسيف ، أنت الرجل الوحيد يثنا ... ألا تتقدم
 لتدفع عنا ؟ ...
 سيف : أنا رجل ؟ ... لقد أشهدتكُن على قسي باني فتاة ! ...
 هند : يا لالشجبين ! ... أما تستحجي ؟ ... تقدم ...

« هند ترجمه »

سيف : الجبنُ أمامَ الأسودِ شرفٌ ومُسُوْدٌ... اتركينى ...
« يخاطبُ الأسودُ فى ضراعة » كَشَمْتُكَ اللهُ أَيُّهَا
الضَّرغامُ إلَّا رَحِمْتَنَا ...

« يبدو عنترة نجاةً من خلف الظلة
ويقفز إلى الجَم ... يظهر فى ملابس البدو
أول صهة بعد عودته من فارس . . . »

عنترة : « صامحاً » كلاً... لن أرحمَك... سألتهم كُنْ التهاماً ...

الجمع : عنترة ا ... عنترة ا ...

سيف : لم يخطئ ظنُّنا ... إنه الضَّرغامُ عَيْشُهُ ا ...

دعائم : إنها لخيانة ...

فتيات : « يرددن » خيانة ... خيانة ...

عنترة : ليس ثمة من خيائنة ... أقسمُ لكنّ ...

عبلة : « متغاضبة : تقاطعه » من دَلَّكَ على مكاننا ؟ ...

وكيف استبجحتَ لنفسك دخولَ حَرَمنا ؟ ...

عنترة : لم يقل أحد إن غدير ذات الإصَادَ حَرَمٌ ووقف

على الفتيات ...

عبلة : لقد قلت أنا الليلة ذلك ! ...

عنتره : لا علم لأحدٍ بهذا ...

عبلة : كنى استخفاً بنا يا عنتره ... إذا كنت تعلم بمكاننا

وأيتَ إلا أن تقتحمه علينا ، فإن ذلك منك جريمة

لا تغتفر ...

عنتره : إن أمرى واضح ... خرجتُ أنزّه في ضوء القمر ،

فقادته في قدماى دون قصدٍ إلى غدير ذات الإصا،

فسمعتُ غناءً وطرباً ، فخداني الفضول أن أتقدم

لأعلم ما الخبر ؟ ...

نجلاء : يلوح لى أن عنتره لم يكن سبيّ القصد ...

هند : أما أنا فأراه سبيّ القصد ...

عنتره : وماذا ترىَن يا هند ؟ ...

هند : فعاكك ...

عنتره : أرضى بذلك ، وسأدافع عن نفسى خير دفاع ...

ولكن من يكون قاضٍ ؟ ...

— ٢١٢ —

دعجاء : « أشير إلى عبلة في شيء من السخرية ، وهل لدينا
غير عبلة أصاح أن تكون قاضيك ؟ ...

عبلة : سأكون سيّافاً ...

« تخطف بدلال سيف عنتره ، ثم تقول ، :
أنت أسيرى ! ...

هند : لم يكن غير ذلك طوّال حياته ! ...

عبلة : « تلتفت إلى الجميع ، إنه أسيرنا ...

الفتيات : « يتصايحن ، عنتره أسيرنا ...

« يلتفون حوله »

عبلة : أترضى أن أكون قاضيك أيضاً ؟ ...

نجلاء : أنكونين خصهما وحكما في وقتٍ معا ؟ ...

عنتره : « لعبلة ، لا أطمئن إلى قضاء غيرك ...

عبلة : ألا تخشى قسوّتى في الحكم ؟ ...

عنتره : الفسرة منك رحمةٌ وعدل ...

دعجاء : « في سخرية ، لقد عرفنا الحكم ماذا يكون ، وانتهت .

الفضيلة ! ...

سيف : نعم ... نعم ... اقتهت قضية عنتره ، ولنبدأ قضية !
القدور ! ... إن بطوننا تتضور ... هلا
رحمتوها ؟ ... ولنبدأ بالفالوذج ... وليجي
الفالوذج العنترى ... هيا ... هيا ...

نجلاء : هلبوا ، راقه بهذا المسكين ... تشير إلى سيف ،
عيلة : هلبوا ...

« سيف يتقدم مهولاً نحو القدور ،
فنقه أم هرم
أم هرم : « لسيف ، قف ... لا تتقدم ... لن تأخذ
إلا ما نعطيك ...

« سيف يتذمر ... يلتف الجمع حول
الطعام ، يأخذون في الأكل وهم يشجون
ويتصايحون ... عيلة وعنتره يتركان حلقة
الطعام بعد قليل ، وقد أخذ كلاهما منه
نصيلاً في يده ... يسيران على مهل جنباً إلى
جنب ، فاصدين غدير ذات الإصا . .
عيلة : « وهى تلوك طعامها فى فيها » ما أحلى هذا الفالوذج !
لم يكذب من سماه طعام الملوك ...

- عنبرة : أنجبينه ؟ ...
- عبلة : « ناخرة إليه بدلال ، إني به مولعة ا ...
- عنبرة : إني لفخـور بذلك ؛ فأنا الذى أدخلت صناعته فى هذه البادية ...
- عبلة : لك أن تفخر بذلك ، فقد غزت به قلوب البدو ...
- عنبرة : وددت لو بنير القالوذج غزت هذه القلوب ا ...
- عبلة : أراك لا تأكل منه ... ماذا تظنهم ؟ ...
- عنبرة : « وهو يأكل ، أطعم جميعاً ...
- عبلة : طعام عامة العرب ... إنه طعام تافه ...
- « يصلان إلى الندير ... عبلة تكشف عن سابقها وتضرب قديها فى اللاء عابثة »
- عنبرة : « وهو يأكل من الجميع ، ولكنى أجده شهياً جداً ا ...
- عبلة : عنبرة الفارسية يأكل الجميع ويستطيعه ا ... أين هذا من اللؤوس بنج المعطر ، والطباهج الرشراش ...؟
- عنبرة : إنها المرة الأولى التى أذوق فيها الجميع بعد عودتى من

فارس ... وإني لأجدُّ له مذاقاً يعلو على اللوزنج

والطبايح ...

عبلة : لقد شوقتني إلى أكله ... « يقدم لها عنبرة مجيعة ،

فتشاركه ، « حقاً إنه لذيق هذه المرة ا... » « تنظر إلى ثيابه ،

يلوح لي أنها المرة الأولى التي تستبدلُ فيها بملابسك

الفارسية الثينة ذلك الرداء البدوي ا... »

عنبرة : « ضاحكاً ينظر إليها ، وإنها المرة الأولى التي أجلس

فيها تلك الجاسمة على أديم الأرض ، لا تمارق

ولا طنافس ا... » « يمتطي ويستنشق الهواء » ...

ما أطيّب حياة البادية ا...

عبلة : إنها حياتك القديمة التي أضعتها ...

عنبرة : كيف أضعتها ؟ ... إنها لي ، أستعيدُها في أيّ وقت

أشاء ا...

عبلة : تظن أنك قادرٌ على أن تستعيد كل شيء متى شئت ا...

عنبرة : « مبتدئاً ، ألسْتُ عنبرة ؟ ... »

عبلة : « ضاربةً بقدمها في الماء ، لقد سلبتُك سيفك من

- ٢١٦ -

يدك ، وسيفك كل شيء لك ، فكيف تستطيع أن
تسترد ما ترغب فيه ؟ ...

عنتره : بقلبي ...

عبلة : أما زلت ذا قلب ؟ ...

عنتره : وأين ذهب قلبي ؟ ...

عبلة : إنه يهيم ضللاً في بلاد فارس ...

عنتره : إني لأحسّه يحتاج بين جوانحي ...

« يد يده إليها يريد أن يمسك يدها ، هاتي يدك ... »

عبلة : « متراجمة بدلال ، لماذا ؟ ... »

عنتره : لتعرف في مكانه ، وتبينني محفوقه ...

عبلة : ليست بي إلى ذلك حاجة ... إني بمكان قلبك عليمه .

« تنثر عليه بكفها ماء مداعبة ... يرتد »

« قليلا ، ثم يقبل عليها »

عنتره : أتذكرين يوم رششتني بالماء في هذه البقعة نفسها

قبل رحيلي إلى فارس ، حتى ابتل ثوبي كله ؟ ...

عبلة : كان عبث الصبا ، ولهو الطفولة ...

- عنترۃ : ما زلتِ على هذا اللّهُو والعَبَثِ ا ...
- عبلة : كلا... لم أَعُدْ عبلةَ الماضى ...
- عنترۃ : هذا حقّ ، لأنك تتجدّدِين كل يوم ... تتجدّدِين
حُسناً وبهاء ...
- عبلة : يا لِّلْحُمْدِ اِهِنِ الماكِرا ا ...
- عنترۃ : أُمْداهنّ ماكرنّ أنا حقّاً ؟ ...
- « يقترب منها »
- عبلة : « فى مداعبة ، قلتُ لك لا تقترب منى ...
- عنترۃ : أرغَبُ فى استردادِ سيفى ا ...
- عبلة : قبل أن أقتلك ؟ .. هيات ا ...
- عنترۃ : « مقبلاً عليها ، هاتى سيفى ... قلت لك هاتى سيفى ...
- « عبلة تقفز من مكانها ، وتجرى على
الصخرة بجوار الندير ... يمدو عنترۃ
خلفها »
- عبلة : « واقفة محتمة بالصخرة ، أمازلتِ مُسَعَتَزِماً أن
تستردّ سيفك ا ؟ ...

— ٢١٨ —

عنتره : أفى ذلك شكك ؟ ...

عبلة : لأن جرب ..

• تلوح بالسيف في يدها

عنتره : عبلة ... لا تلاعبى بهذا الحسام الباتر ... أنتشى

عليك منه ...

عبلة : ولم لا أنتشى عليه ونى ؟ ...

عنتره : رُدِّيه إلى بسلام ...

عبلة : وإذا لم أرده بسلام إليك ؟ ...

عنتره : أخذتُه غصصيا ...

عبلة : أعيدك أن أرده إليك ، على شرط واحد ...

عنتره : وما هو هذا الشرط أينها الجفسيّة ؟ ...

عبلة : أن أحلق به لحيتك ...

عنتره : للحيقى ؟ ... كما فعلت بي فى الماضى ؟ ... هيهات ... !

• الجلم هناك منهمك يأكل ، بيد أن دعجاء

تلعظ غيبة عنتره وعبلة ... فتندلع تريد

كشف مكانهما ، فتحول هسند دون ذلك

بباتها فى الحديث والإشارة

— ٢١٩ —

عنبرة : « لعلة ، قلت لك تعالى ...
 عيلة : « ولحيثك ؟ ...
 عنبرة : « هاتي السيف يا شيطانة ...
 عيلة : « أسلمني لحيثك أسلمك سيفك ! ...
 عنبرة : « ناظراً إليها فترة وهي تتلاعب بالسيف في دلال »
 قبلت ما تريدن ... تعالى ...

« عيلة تعلى الربوة ، وتحمي القفز ...
 عنبرة يسقط لها ذراعها ، فترمي بين
 أحضانها ... يحملها إلى الدوير ... على حين
 يبدأ القى سيف يبنى بتجربى من هند »

سيف : « ينشد ، أنت للعين ضياء أنت للروح دواء
 أنت يا عيلة أنس لنسؤاى وهناء
 أنا لا يهدأ شوقي فى بعاد أو لقاء
 طيفك المحبوب شغلى فى صباح أو مساء »

« عيلة تفرق من عنبرة ، وترقص بالسيف
 أمامه ، وهو يراقبها في شفق ، ثم لا يلبث
 أن يقبل عليها ويراقصها »

عسيف : « يتابع إنشاده » :

حينما ترصنين عني بملا القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيم وإذا الكون صفاء
وإذا بي في حُجُور منك لإقْدامي وعزى
فابعثي في المنسأى وصليتي في دنوئى
واذكريني في مَغْشِي إن في الذِّكْرَى وفاؤى

« يظهر الأمير عمارة فجأة على الرهوة
الكبيرة ... يقطع ضياء القمر عليه ...
يرتفع الجمع من الفناء والرقص . . »

عمارة : « في لهجة الساخط المغيظ » بل تابعوا ما كنتم فيه ...
لم أحضر لأعكر عليكم صفوفَ ليلتكم ...

« ينزل من الرهوة متمهلا ، ولا يحيى
عنبرة ... عيلة تنقل بصرها بين الأمير عمارة
وعنبرة ... تقف وقفة الظافر بانتصارها على
أكبر قلين تضمهما البيداء ... الأمير عمارة
يواسل حديثه في لهجة المهكم »

قلتُ لكم تابعوا الغناء والرقص ...

عبلة : « توجه نحوه ، أنت في غضبك بحق ... »

عمارة : أغاضبُ أنا ؟ ...

عبلة : أنت خاطبي ، وبحق لك أن تغضب ، إذ ترى خاطبتك
يراقصها رجلٌ غيرك ...

عمارة : وما دمتِ تدركين ذلك فلم تُقدمين على هذه الفعلة ؟

عنبرة : استُغريباً عن عبلة أيها الأمير ... إن هلةَ الرحم
تربطنا ، ونحن من قيلة واحدة ...

عمارة : ولعنبرة ، أوجعتُ إليك الكلام ؟ ...

عبلة : « تتقدم من الأمير عمارة ، الحق أني أخطأتُ ،
ولكنه خطأ بلا قصد ... طلبسني للرقص ، ففجئتُ
أن أردّه ... أقسم ... »

عنبرة : ولمَ القَسَم ؟ ...

عمارة : « لعنبرة ، أنزعسُ إذن ... »

عبلة : « وقد أفبلت على الأمير عمارة ، لا يزعم شيئاً ...
لم يعد بيني وبين عنبرة شيء ... لقد وهبتك أنت ... »

— ٢٢٢ —

قلبي وكفى ، وإني لا أمسك إلا قلباً واحداً ...

عمارة : عيلة ١٩ ...

عيلة : أميري ، وخطبي ؛ بل زوجي ...

« تميل على صدره فيتنسها ... هنرة

« غنط ، ولكنه كاظم غنطه ... هند في

« حيرة ... دعاء تنفرج في شوق وحاس »

عنترة : « بعد تردد ، إن وقى لأمن من أن أضيقه في هذا

المكان... إن غزوة بني قنشد نناديني... إن الحرب

مشمسختي ...

« يتهاى للخروج ، وبانت إلى الأمير

عمارة فائلا »

أما الحب فإني أدعه لك... فلتنعم به... طاب ليكم ا

« يخرج مهرولا »

عيلة : والآن إلى الرقص والعناء ...

« تبادل الأمير عمارة فطرات الهيام ...

ترك الأمير وتهرع إلى الجماعة لتنظم حلقة

الرقص ... تميل على هند وتضبط يدها في

ابتهاج... فتدعى بها جانباً وتقول متحمسة :

١٢٣ ...

لأنه يحبني ... يحبني ...

هند : « متسائلة في سداجة » من ؟ ... الأمير ؟ ...

عبلة : « ضاحكة في استهزاء » الأمير أمره واضع ...

هند : « تسنين عنبرة ؟ ... » في سداجة « ولماذا إذن

تركته ينصرف كالطريد ؟ ...

عبلة : « لا تعني بالرد على سؤالها ؛ بل تجذبها من يدها

وتصيح « إلى الرقص ... إلى الخسائم ... هيا ...

« ترك هنداً ... تعود إلى الأمير عمارة

منشبة فرحة ... هند تقف فاعرة فاما »

دعاء : « وقد اقتربت من هند ، لا تعجبي يا هند ...

لا تعجبي ... مازلت طفلةً يا صغيرتي ! ...

« الفناء والرقص يبدآن ... الأمير عمارة

براقص عبلة »

الفصل السادس

« بقعة رمالية وراء الجبل يبدأ منها
 « ذم الشعب » وهو الطريق الوحيد الذي
 يصل مئذيق الصحراء بضارب بني فهد ،
 وتقيم قبيلة الأمير عمارة الكندى ...
 يبدو الأمير عمارة الكندى وهو ممسك
 بزمام اجمل الذي عليه هودج قبيلة ذو اللون
 العنابي ، خلفه الركب من الأعوان والأتباع »

عمارة : « يقف جمال الهودج ، حطّوا الرّحال لحظة
 يارجال ، حتى نصلح من شئوننا ، ونعد أنفسنا
 لاجتياز هذه الشعب الوعرة ... » يصفق ناحية
 الهودج ، عبلة ... عبلة ... « تطل عبلة من الهودج ،
 انزلى يا حبيبتى للمستريح بضريح لحظات ، ثم تتابع
 السير ! ... »

« يتلقاها بين يديه نازلة من الهودج
 تنزل بعدها هند ... الأمير عمارة يربت
 يد عبلة ملاحقا مدلا ، ثم يواصل
 حديثه ... »

ان تناخّر طويلا ... سيكون وصولي إلى خيّمى
فى الوقت الذى عيّناه ... إن أباك مع القوم هناك
ينتظرون قدومنا ... إنهم ليدوبونَ شرقاً لاستقبالِ
أميرة كَشْدَة ...

« يقبّل يدها ، لستِ أميرة كَشْدَة وحدها ؛ بل أنتِ
أميرة كلِّ هذه البادية ... »

عبلة : « يملو وجهها بعض السهوم ، أشكرُ لكِ أيها
الأمير ! ... »

عمارة : « ما هذه الكلفةُ يا عبلة ؟ ... لقد طلبتُ إليك ألا
تُلقبني بالأمير ... قولى يا عمارة ... بل قولى
يا ... حيلبي ... ! »

عبلة : « هما يكنّ من أمر فراسم الزواج لم تتمّ بعد ...
أنقيم وزنًا للألفاظ ، وأنتِ عليم بما يُكشّيه لكِ
قلبي ؟ ... »

عمارة : « يقبّل يدها مشغوظا ، شكراً ... شكراً لكِ
يا عبلة ... والآن سأذهب للإشراف على الاتباع ... »

— ٢٢٦ —

وسأعود إليك بعد قليل ...

« الأمير يخرج ... عبلة وهند تخطوان

بضع خطوات »

عبلة : أف ... أف ...

هند : ولم التأفف ؟ ...

عبلة : من وقدة الحر ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

هند : « تنظر إليها مستريية ، حقاً إن الحر لا يطلق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها أيضاً . . . »

ولكنني مع ذلك أرى الجوَّ رنحِيَّ النسبات ...

كل الناس يقولون : إننا محظوظون بالخروج هذا

اليوم ...

عبلة : ماذا تقصدين بكلامك هذا ؟ ...

هند : لاشيء ! ... « بعد صمت قصير ، أف ... أف ، ... »

عبلة : ماذا ؟ ...

هند : الحر ... لا يطلق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

- عبلة : أتهزّنينَ بي ؟ ...
- هند : معاذَ الله ...
- عبلة : إذن ...
- هند : بي ضيق شديد ...
- عبلة : أفي يوم عُرسي تحسّين ضيقاً وهماً ...
- هند : « تحديق فيها ، لا أستطيع أن أحسّ السعادة يا عبلة ،
وأنا أراكِ تُهزّنينَ إلى الأُميرِ عُمارة ... »
- عبلة : وإلى من كنت تودين أن أزف ؟ ...
- « هند تنظر إليها في صمت ، ثم تمهم
بالكلام ، فتسبّحها عبلة »
- لا أريد أن تلفِظَني باسمه أمامي ... لا أريد ...
المتنظّرس ... المغرور ...
- هند : « كأنها تتحدث إلى نفسها ، إنه وربّي لمَظْطُوم ... »
- عبلة : اسكُتي ولا تُطِيلِي اللُجْجَا ج ا ...
- هند : ماذا كنتِ تريدِين منه أن يفعلَ بعد أن رأى منك
ما رأى ليلةَ الغدير ... غدير ذات الإصا د ؟ ...

— ٢٢٨ —

عبلة : لا أريد منه أن يفعل شيئاً ... إنى أكرهه ...
أمقتته ... أسامعته ؟ ... لقد ظنّ بعد عودته من فارس
أنه ملاك الأرض ، واستعملنى سلطانه على مناطِ
الجزاء ! ... أما الآخر ...

هند : الأمير عمارة ...

عبلة : خاطبى ... زوجى ... حببى ، فإنه مثالى الرجل
الكامل ... وإنى أحبه ، وأنا سعيدة بزواجه ...
« تسير محتاجة بضلع خطوات ، ثم تقول ،
أفّ ... أفّ ...

هند : الحرّ لا يطلق ! ...

« تسير عبلة وقتاً جيئة وذهوبا فى

العتاج . . . هند تجلس على صخرة وقد

أسندت وجهها الى كفها . . . تقف عبلة

خفاة أمام هند

عبلة : إنه لم يحضر لمشاهدة عرسى . . . وإنى بذلك
لفريرة الدين ...

هند : « وهى على حالها ، لقد خرج لغزو بنى فهد ...

عبلة : ولماذا اختار لهذه النزوة اليوم الذى اخترناه نحن
لحفلة العرس ؟ ...

هند : يقولون إنه استخبرَ المنجِّمينَ ، فبيَّنوا له هذا
اليوم ، وقالوا إنه له يوم سعيد ...

عبلة : بل سيكون أشأمَّ يومٍ فى حياته ... إنى لأرجو أن
يلتقى من بنى فهد شرَّ هزيمة وخيسة ! ...

هند : ما هذا القول يا عبلة ؟ ... إن هزيمته هزيمة لقومنا ...

عبلة : لقومكم أتم ! ... إنى اليوم إلى كندة ألتصّب ...
كندة العظيمة ! ...

هند : سيقتصر عنزة ... ما من ذلك بد ! ...

عبلة : سترى ! ...

هند : أفى ذلك تشكّين ؟ ...

عبلة : ماذا ترجّين من رجل أضفى زيرَ نساء ، حليف
شراب ؟ ... أبقىستَ عنده للحرب همّة ؟ ...

• يظهر الأمير عمارة عموماً بأمواله

• وأتباعه

— ٢٣٠ —

عمارة : « للجمع ، هَيِّوَا ... شَدُوا الرَّحَالَ ... وَلْنَمَضِرْ
على بركة الله ... »

« الجمع يَهَيِّأ ... يقبل حرس
مَهْرُولا ... »

الْحَرَسِيَّ : « للأمير عمارة ، سيدي الأمير ...
عمارة : ماذا ؟ ... »

الْحَرَسِيَّ : « إن رجالَ عنترة قد ظهروا على حينِ غفأة ، واحتشدوا
على « فَمَ الشعب ، يبتغون أن يأخذوا الطريق قبل
أن نأخذه ... »

عبلة : « يا سَلْدَاهِيَّة ! ... يريدون أن يَحْتَازُوا الشَّعْبَ قَبْلَنَا ،
فَيَسْدُوا عَلَيْنَا الطريق ، ويرهقونا بالنَّار ...
بحال ! ... »

عمارة : « اعترضوا طريقهم ...
الْحَرَسِيَّ : « لقد فعلنا ... ونخشى أن يلتحم الفريقان ... »

« نسمع ضجة يقيين الجمع فيها صوت عنترة
يحلج ... بعد لحظة يظهر في لمة من أنصاره ... »

عنتره : « للأمير عمارة ، أبا مريك مُنِيع رجالى من نزول

الشعب ؟ ...

عمارة : نعم ...

عنتره : ألا تعلم أنهم رجالى ، وأنى ماض بهم لنزول بني فهد ؟

عمارة : لقد جئتُ بركبى فى هذا المكان قبلك ، فلى أن

أُتقدمك فى السير ...

عنتره : ركبك ؟ ... قات لك لى قائمٌ لنزول بني فهد ،

فَنسَحُ رجالك عن الطريق بِسلام ...

عبلة : « أتقدم شاحنة الأنف » إنه ركبى أنا أيضاً ، وسيمرُّ

قبل جيشك ! ...

عنتره : « يتظاهر بأنه لم يردنا حتى الآن ، أديرة كندة ؟

تحياتى وإجلالى ... » ينحنى محيياً ، أعلم أن الركب

ركبُ عرسك ، ويسوفنى أن ينشبَ يبنى وبين

الأمير مخاطبك هذا الخلاف ... أهـ نصحت له بأن

ينتهجى رجاله جانباً ، ويدعنا نمرُ بِسلام ؟ ...

عبلة : أنصحُ له أن يُفصِّصك ورجالك ... مخاطب الأمير

— ٢٣٢ —

عمارة ، لن يمرُّوا قبلنا ... لن تتقدَّم ركبٌ عُرسى
هذه الشَّرقُمةُ التي يسوقُها عنثرة ! ...

عمارة : لن يمرُّوا قبلنا أبدا ...

عنثرة : « يصيح برجاله ، اسبقوا إلى الطريق ... لا يصدكم
عنه أحد ... إن الوقتَ قد أُرِف ...

عبلة : « للأمير عمارة ، اشهرْ عليهم العيى ! ...

عمارة : « مجرداً سيفه من غمده ، سيكون هذا بيننا حكماً ...

عنثرة : « نريد قتلى ١٩ ...

عمارة : « إني مبارزك ... احم نفسك ...

عنثرة : « إني لأرئى لك ! ... « مجرد حسامه من غمده ،

سأمنهـلك بعض الوقت لتروى في الأمر ...

عمارة : « قلتُ لك احم نفسك ! ...

عنثرة : « يا عمارة ... ما زلتَ غضَّ الإهاب ، ولكَ عروس

حسناء ! ...

عمارة : « لا تزد ، وإلا اخترتك سـيفي ، ولات ساعة

منـدَم ! ...

عبلة : . للأير عمارة ، لافض فوك يا حبيبي ا ...
عنتره : برغمسي أبارزك ، وبرغمي ساقنك ، وأشهد ربي
على ذلك ا ...

« يلتقي الفارسان في مبارزة مرعوبة ...
سرعان ما يهجم عنتره على خصمه هجمة
قوية ... عبلة تراقبهما ضرمرة بأنهما من
أجلها يقتلان ا ... عنتره يطعن الأمير
عمارة في كتفه ... يسقط السيف من يد
الأمير عمارة ويترنح في وقفته ... عبلة
تصبح يسرع عنتره إلى الأمير عمارة
ويتلفاه بين ذراعيه ، ثم يقول . . . »

« أصبت منك مقتلاً ؟ ... » يكشف عن الجرح ،
ثم يغمغم « جرح كبير ، ولكنه ليس بالخطير ا ...

« الأمير عمارة مضى عليه ... عنتره يخاطب
رجال الأمير عمارة »

« إن أميركم جريح ، وجرحه يتطلب حسن عناية
وسرعة علاج ... هلموا فاحملوه ا ...

« يتقدم بسا أتباع الأمير عمارة فيحملونه »

« عدوا من حيث أنتم ، واخلوا وجه الطريق ا ...

— ٢٣٤ —

• ينصرف رجال الأمير عمارة به ويخاطون
البقرة المنقرة ورجاله . . . عنقرة يخاطب
رجاله

أَمَا أَتَمَّ فَاسِيقُوا إِلَى بَطْنِ الشَّعْبِ ... سَالِحُ
بِسْكُمْ بَعْدَ هُنَيْيَةِ ...

• رجال عنقرة يشيرون إشارة الطلوع
وينصرفون . . . علة تلم شمتها وتم
بالمرج في أثر جماعة الأمير عمارة . . .
عنقرة يخاطبها

إلى أين ؟ ...

عبله : أَلَمْ تَقْ بِخَاطِبِي الْجَرِيحِ ...

عنقرة : لَدَيْهِ مِنْ يُعْنَى بِهِ ...

عبله : إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى ...

هند : « مَغْنَمَةٌ ، إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى طَلِيبٍ أ ...

عنقرة : « لَعْبَلَهُ ، سَيُشْغَلُ عَنْكَ بِجُرْحِهِ ...

عبله : إِنَّهُ يَحْبُنِي ، وَلَنْ يَشْغَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أ ...

عنقرة : أَنْتِ وَاهِمَةٌ ...

عبله : وَأَنَا أَحِبُّهُ أَيْضًا ...

- هند : لا أصدق ...
- عنتره : لعلك تريد أنك تُشفقَين عليه ... إن الفارس الممزوم لا يُحب ...
- هند : أمقتُ الممزومين ! ...
- عبلة : أحبه ، وأريد أن أُعنىَ بجرحه ...
- « تم بالمعنى ، فيصدي لما عنتره واقعاً في طريقها فتقول ، دعني أنصرف ! ... »
- عنتره : أنسيتِ يا حسناتُ أنك أصبحتِ سبييتي ؟ ...
- « عبلة تقف أمامه عاقدة يديها على صدرها »
- عبلة : أنا سبييتك !؟ ...
- هند : « متطلعة إلى عنتره في سرور ، وأنا !؟ ... »
- عنتره : أنقبَلين أن تكوني سبييتي يا هند ؟ ...
- هند : إنه اشرفُ يا عنتره ...
- عنتره : أنت فتاة رقيقة العاطفة ! ...
- عبلة : أعلم أني استُ رقيقة العاطفة ... لن أرضى أن أكون سبيية أحد ...

~ ١٢٦ ~

عنقرة : لا يطلب رضاك أحد ... لقد نلتك سبيية

في قتال مع الأمير ، وستذللين في أسرى ا...

عبلة : وتحقق فيه برهة صامئة ، ثم تقول ، وماذا أنت

صانع بي ؟ ...

عنقرة : لن أضحك إلى جوارى ... سايبك ا...

هند : أرضى أن أشتريها منك ...

عنقرة : ولماذا ترغين في شرائها ؟ ...

هند : لأهلك إياها ا...

عبلة : أوتر أن أباع في الأسواق ...

عنقرة : هذا ما اعتزمتُ صنعه ا...

هند : وهل تساوى كثيراً ؟ ...

عنقرة : ديدور حول عبلة متفحصا ، ثم يقول ، لا أظن ا...

عبلة : ولماذا تبيعني إذن ؟ ...

عنقرة : لا رغبة لي في الإبقاء عليك ... إن خبائي يعص

بالجوارى ا...

هند : وفي مداعبة ، قد تنفعك ا... إنها ماهرة في

- ٢٣٧ -

كل شيء ... في حَلَابِ النياق، وصُنْعِ الجميع،
وعملِ الثريد ...

عجلة : إن عنقرة ليس في حاجة إلى من يحلب نياقه ،
فهو ماهر في حَلَابِها . . . كان يحلبها ويأْتيني كلَّ
صباحٍ بلَبَنِها ... !

عنقرة : أنا ؟ ... :

هند : لا تستطيعُ الإنكار ... أنا شاهدةٌ عليك !

عنقرة : كان ذلك فيما مضى ...

عجلة : والآن ... ألا تَرْضَى أن تحلبَ لى النسياق ؟ ...

عنقرة : إن أحلبَ نياقاً لأحد ... قلتُ لك سأبشرك ! ...

هند : وهل يرضى قلبك بهذا ؟ ...

عنقرة : يرضى ... يرضى ...

هند : وجبُّك لها ؟ ! ...

« يقدم فارس »

الفارس : « لعنقرة ، إن الجيشَ على أتمِّ أهبةٍ ... والوقتُ

قد أُرِفَ ...

— ٢٣٨ —

عنتره : ابدؤوا السير ... واحضروا هودج عبله ...

الفارس : « ينادى ، هودج عبله ...

« يظهر هودج عبله عمولا على جبل ...

يناخ الجبل على مقربة من عبله . . . »

عبله : إلى أين أنت ذاهبٌ في ؟ ...

عنتره : سأخذُك معي في غزو بني فهد ...

عبله : أرغبُ في العودة ...

عنتره : ستطيعين أمرى ! ...

عبله : لا أمُرَ لأحدٍ على ؟ ...

« تتحفر للهرب ، فيمسك بها عنتره ،

ويحملها إلى الهودج ، فتصبح وتحاول

الانفلات منه »

عنتره : لن تُفلسني مني ، ألم أقلُ لكِ إنك أصبحتِ أسيرتي ...

سبيتي ؟ ...

عبله : « وهى بين ذراعيه ، تحاول التلصص منه ، دعننى ...

دعننى ... إن ذراعيك قد قَتَّانِ عِظامى ... !

- ٣٣٩ -

عنتره : سأروضكِ على أن تكوني أسيرتي ...

« يضعها في المودج ... هند تسخل

وراءها ... عنتره يصبح : « ... »

قيامًا ... قيامًا ...

« ينهش الجمل ... عنتره يصبح : «

إلى بني فهد ! ...

ختم

الآيات في هذه القصة مقتبسة من
الشعر القديم ، إلا أنشودة عنتره لعبلة
التي مطلعها : « أنتِ للعين ضياء » ، فقد
نظمت لهذه القصة خاصة .

[رقم الإيداع ٣١٢٩ لسنة ١٩٧١]

من مؤلفات « محمود تيمور »

(د) رحلات :

- ١ — أبو الهول بصير
- ٢ — شمس وليل
- ٣ — جزيرة الميب

(هـ) قصص تمثيلية :

- ١ — صقر قرش
- ٢ — سهاد أو اللحن الثاني
- ٣ — اللقطة وحفلة شاي
- ٤ — الحبا رقم ١٣
- ٥ — المزيفون
- ٦ — فداء
- ٧ — اليوم غر
- ٨ — ابن جلا
- ٩ — قنابل
- ١٠ — حواء الخالدة
- ١١ — طاروق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

- ١ — مشكلات اللغة العربية
- ٢ — دراسات في القصة والمسرح
- ٣ — ملاحم المسرح العربي
- ٤ — اتجاهات الأدب العربي
- ٥ — القصة في الأدب العربي
- ٦ — معجم الحضارة (قاموس)

(أ) مجموعات قصصية :

- ١ — كل عام وأنتم بخير
- ٢ — مكتوب على الجبين
- ٣ — شفاء غليظة
- ٤ — إحسان لله
- ٥ — انتصار الحياة
- ٦ — قال الراوى
- ٧ — أبو الشوارب
- ٨ — دنيا جديدة
- ٩ — تمر حنا عجب

(ب) قصص مطولة :

- ١ — كيلوباترا في خان الخليل
- ٢ — سلوى في مهب الريح
- ٣ — فداء المجهول
- ٤ — شمروخ
- ٥ — معبود من طين

(ج) صور وخواطر :

- ١ — ملاحم وغضوب
- ٢ — النبي الإنسان
- ٣ — شفاء الرعوى
- ٤ — عطر ودخان

